BOBST LIBRARY
3 1142 01241 3012

DATE DUE

فخري البارودي

al-Barūdī, Fakhrī

تاريخ يتكلّم

Tarikh yatakallam

الطبعة الأولى

دمشق

١٩٦٠

Front

مطابع ابن زيدون بدمشق

Near East

PJ
7816
.A693
T3
1960

PJ
7816
.A692
T3
c-1

فخري البارودي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على نبيه الذي اصطفى وبعد :

يقول الجاحظ :

الشعر صعب وطويل سلمه اذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه
زلت به الى الحضيض قدمه يريد أن يعربه فيعجمه

وقد أظهر لنا في هذين البيتين باسلوب رقيق ما وصفه من ماهية الشعر الذي هو ملكة راسخة في النفوس منذ الفطرة لايمكن تكلفها .

والشعر في اللغة :

شعر به ، علم به ، وفطن به ، وعقله ، والشعر غلب على منظوم القول لشرفه بالوزن والقافية وان كان كل علم شعرا .. اهـ .

واني اذ أقدم ديواني فانما اقدم خواطر مرت بفكري وسوانح طافت بخيالي فنظمت أبياتا أو قصائد نوهت قبل كل منها بالاسباب التي دعتني الى النظم .

والشعر كالفاكهة فما كل من أكل نوعا منها استطابه واستلذه فمن استطاب أكل التفاح مثلا ربما مج أكل العنب والعكس بالعكس .

والشعر كذلك ربما لايستلذ كل قارىء كل ما قرأ منه لأن طبائع الناس تختلف باختلاف أذواقهم واخلاقهم وميولهم وأمزجتهم على ان النظم السالم لابد وأن يتضمن حقيقة تشف عنها الاستار اللطيفة التي تكشف عن ضمير الشاعر باظهار التصورات والاخيلة، والاستعارات ، والكنايات والتشبيهات ، وغير ذلك من المجازات التي هي من أكبر دواعي زينة الشعر واظهار جماله ورونقه وعسى أن يكون التوفيق حليفي في تصوير ما دار بخلدي من الافكار في حياتي .

واني أرجو من الذين لايرضون عما أقدم لهم في هذا الديوان لتباين طبائعنا أن يستروا ما يرون فيه من الهفوات ورحم الله العتابيّ القائل :

من قرض شعرا ، أو وضع كتابا ، فقد استهدف للخصوم ، واستشرف للألسن ، الا عند من نظر فيه بعين العدل وحكم بغير الهوى ((وقليل ما هم))

والله أرجو أن يكون قد وفقني الى تصوير ما سنح لي من أخيلة ، وتسجيل ما مر بي من أحداث ، وأن ينظر الى هذه السوانح بعين العدل والتسامح والحكم بغير الهوى والغرض .

ولا بد لي من أن أوجه نظر قرائي الاعزاء الى أني حين كان يعترضني من العقبات الصرفية أو النحوية التي يقيمها في سبيلي ((المرحوم ابو الاسود الدؤلي أو المغفور له سيبويه)) من عثرات كأداء كنت أقرأ الفاتحة لروحيهما وأضع ما يخالف قواعدهما بين قوسين لاتخلص من انتقاد النحويين، والسلام.

فخري البارودي

طـين ومـاء

كانت ولاية سورية احدى ولايـات الدولة العثمانية وكنا نسمع عـن الطائرات ولكننا لم نكن رأيناها بعد ، وكنا نطالع المجلات العربية والاجنبية ونرى فيها رسم الطائرات وهي بحالة بدائية وكم كنا نتشوق لرؤية الطيارة في السماء الى أن أعلنت حكومة الولاية أن طـائرة فتحي بك ستصل الى دمشق في اليوم الفلاني من شهر ربيع الاول سنة ٣٣٢هـ وهي أول طائرة تحوم في سماء دمشق . وفي اليوم المذكور خرج أهالي دمشق قاطبـة الى مرجة الحشيش التي أقامت حكومتنا اليوم معرض دمشق فيها ، ولما أقبلت الطائرة وحامت فوق دمشق ووصلت الى المرج الأخضر وهبطت على مهل هرع الناس من كل حدب وصوب لمشاهدتها ومصافحة راكبيها وقد وصل الطياران فتحي وصادق وعلائم التعب الشديد بادية عليهما وجلسا في المخيَّم الذي أقامته حكومة الولاية ووقف الخطباء والشعراء يرحبون بالضيفين ، والشاعران اللذان ألقيا شعرا في ذلك اليـوم هما الشيخ أبو السعود مراد والشيخ عبد الرحمن القصار ، وقد أرسلت هذه القصيدة الى جريدة المقتبس التي كان يصدرها المرحوم الاستاذ محمد كرد علي بعد أن رأيت الطائرة مرحبا بالطيار فتحي ونشرت بالعدد ١٤٢٢ من المقتبس بتـاريخ ٣٠ ربيع الاول سنة ٣٣٢هـ ١٩١٢م .

طين وماء

يا سماء الشام يا خير سماء ... رحبي بالضيف مرفوع اللواء
ضيفنا يا شام نسر ناطق ... سابق النسر وعقبان السماء
ضيفنا طيارة فارسها ... صيَّر الفولاذ طيرا في الفضاء
أملاك أنت يا (فتحي) أجب ... أم وليّ من كبار الأولياء
ان ما جئت به معجزة ... ذكرتنا معجزات الأنبياء
قد فتحت اليوم ملكا طارفا ... عجزت عنه الملوك القدماء
وطئت أقدامك اليوم سما ... قصرت عنها أماني العظماء
قم وصافحني بكف صافحت ... في ذرى عليائنا كف ذكاء
آه ما أحلى بلادي عندما ... يرتقي أبناؤها متن العلاء
ان يكن مركبكم من صنعكم ... عندها جروا ذيول الخيلاء
يا بني العُرب ويا نسل الألى ... علموا الغرب فنون الارتقاء
هل علمتم ان أجدادكم ... فكروا يوما بتسخير الهواء
هذه طيارة قد صنعت ... في بلاد الغرب في أبهى رواء
حلقت نرنو لها في أرضنا ... وهي قرب الشمس في أسنى سماء
كل هذا أثر العلم الذي ... جعل الافرنج قوما أقوياء
انما الافرنج قوم مثلنا ... جسمهم ركب من طين وماء
لا تظنوا أننا لا نرتقي ... علمونا واقطفوا زهر الذكاء
لنجاري الغرب في وثبته ... في رحاب الأرض أو أفق السماء

الملحمة الصادقة

نظمت هذه القصيدة أثناء الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٣٩م ونشرتها في جريدة المرحوم نجيب نصّار (الكرمل) التي كانت تصدر في حيفا وقد أرسلت منها نسخا لجميع ملوك ورؤساء حكومات الاقطار العربية في ذلك التاريخ :

وحي الشعر

مات وحي الشعر مذ مات الاباء ... وبذا ماتت نفوس الشعراء

وقضى الأحرارُ هما وأسى ... وغدا الأمر بأيدي الادعياء

وسَراة العُرب في الحرب نسوا ... أو تناسوا واجبات الزعماء

ولذا صرنا الى متربة ... جعلتنا في عداد الأسراء

يا بني قحطان قحط واحد ... يفقد الأمة أسباب الهناء

عندنا بالمال قحط فاتك ... وبنا قحط رجال ونساء

وغدا أهل الحجى في بله ... ولدى القحط فهل يجدي الذكاء

قد أضعنا كل ما خلفه ... سلف العرب الأباة الشرفاء

من تراث المجد والعز الذي ... بذلوا في نيله أزكى الدماء

الوعد الكاذب

كان الاتراك بعد فتحهم بلاد الشام يحكمون المملكة العثمانية باسم الدين ، وكانت سورية ولاية من ولايات الدولة العثمانية كما كانت حلب وبيروت والحجاز ونجد والولايات العربية ولايات عثمانية تابعة للدولة مثل بقية الولايات التركية ، والارناؤوطية والكردية وغيرها من ولايات الدولة وكان الاتراك في أيام السلطان عبد الحميد وما قبله يحكمون البلاد باسم الدين الاسلامي ، ولما قام رجال جمعية تركيا الفتاة بالانقلاب ووضعوا الدستور وخلعوا السلطان عبد الحميد وفتحوا البرلمان تنكروا لغيرهم من العناصر ولا سيما العرب ، ولما أصبح العهد عهدا نيابيا قام شبان العرب يطالبون الاتراك بتطبيق الدستور والمساواة بين الترك والعرب وطلبوا مثل بقية العناصر غير المسلمة المساواة بالوظائف وطالبوا بالاصلاح فاضطرب الاتراك وجعلوا يفتشون عن طرق توقف العناصر عند حدها ولما وقعت الحرب العامة الاولى ١٩١٤ دخلت فيها تركيا الحرب مع الالمان فوجد الاتراك فرصة للتنكيل بالعناصر المضادة خصوصا العنصر العربي وشنق جمال باشا القائد التركي الذي أرسلته الاستانة حاكما عسكريا على رأس الجيش الرابع من أحرار العرب من شنق ليخضع بقية العناصر لسلطة الدولة وأخذ الناس بالارهاب ، عندها وجد الافرنج فرصة مناسبة لتحريك العناصر غير المسلمة التي كانت تستسلم اليهم فكانت الحكومة الافرنسية تحمي الكاثوليك والحكومة الروسية تحمي الارثوذكس والايطالية تحمي الموارنة ، والانكليز يحمون البروتستانت والدروز وأثناء هذه الحرب مدت هذه الدول اصبعها لتحريك العرب ضد الاتراك ونجحت بذلك حيث وجدت منفذا بعد أن أعلنت الثورة العربية تحت قيادة الشريف حسين بن علي وأولاده واشترك العرب بهذه الثورة فوصفت ذلك بقولي :

عرف الافرنج ساحل بنا ... من بلاء وانحطاط وعياء

طمعوا فينا وجاسوا أرضنا ... ورأوا فيها من الترك استياء

حينما الاتراك جهرا رفعوا ... عن نوايا السوء مسدول الغطاء

وجد الافرنج من هذا الجفا فرصة فاهتبلوها باشتهاء
ورأوا أنّ النفوس امتلأت والى الثورة آن الالتجاء
فاستشارونا بأوعاد بها لبني قومي من الاسر نجاء
وعدونا بكيان ثابت وبلين القول غروا البسطاء
عاهدونا وحفظنا عهدهم ودخلنا الحرب يحدونا الرجاء
وتبعناهم وسرنا جنبهم ومشينا معهم دون اتقاء
لعبوا ماببننا لعبتهم وأداروها بخبث ودهاء
ونهضنا نهضة سامية ومضينا للوغى أيّ مضاء
فانتصرنا وظننا أننا قد خرجنا من ظلام لضياء
وفرحنا بكيان زاهر وتنفسنا لهذا الصُّعداء
وانتشينا نشوة فارغة ورمينا دلونا بين الدلاء

كبش الفداء

لما قام الشريف حسين بن علي بالثورة على الاتراك التحق به كثير من الشبان العرب من الضباط في الجيش العثماني وغيرهم من الاحرار وتحالف الشريف مع الانكليز وكسب الحلفاء الحرب ونكلوا بوعودهم وقسموا بلادنا وانتدبوا بعضهم بعضا على البلاد العربية واضحت الحكومات المحلية مثل لعب الاولاد فقلت :

ربحوا الحرب وكنّا معهم ... وسكرنا بانتصار الحلفاء
قسّموا الأسلاب فيما بينهم ... أكلوا اللّب وثنوا باللّحاء
نقضوا العهد ولم يحترموا ... عهدهم يالرجال الشرفاء
لم يصبنا حصة من فوزنا ... غير شكرٍ ومديحٍ وثناء
واذا أتعابنا ضاعت سدى ... واذا أوطاننا كبش الفداء
واذا استقلالنا مهزلة ... فقبضناه هباء في هباء
ووجدنا بعدها أنفسنا ... مثل أبناء كبار الأغنياء
عندنا من كلّ أنواع الدّمى ... لعبٌ نلهو بها صيف شتاء

كراسي الوزراء

بعد انتصار الحلفاء وخروج تركيا من الولايات العربية دخل الافرنسيون بلاد الشام فجعلوا من ولاية سورية أربع دول هي دولة حلب ودولة العلويين ودولة دمشق ودولة جبل الدروز وجعلوا لكل دولة منها علما خاصا وعينوا لبعض هذه الدول وزارات ووضعوا لكل وزارة مستشارا فكان الوزير وزيرا بالاسم فقط والمستشار هو الآمر الناهي الحقيقي حتى ان رئيس الدولة لم يكن له قدرة بأن يعين حارسا في محلة أو جلوازاً في بَلَدِيَّة وقبضوا بيدهم على زمام الجيش ومديرية الامن العام والجمرك ولم يكن أحد من الحكام الوطنيين يقدر ان يصرف قرشا واحدا دون امر المستشار :

من دويلات لها أعلامها ... دون جيش من بنيها البسلاء
يدفع الغارات عنها اتّما ... أكثروا فيها كراسي الوزراء
جعلوها شركا للشعب كي ... يتفشّى الدس بين الاتقياء
أخذوا الحكم وقالوا انكم ... قُصَّر" في حاجة للاوصياء
فأداروه بشكل أعوج ... ليس للاصلاح فيه من رجاء
نعموا بالمكس والامن وما ... يُرتجى للروع ان حُمَّ القضاء
خنقوا نهضتنا في مهدها ... واذاقوا العُرب أنواع البلاء

سفسطات وهراء

ومن الدوائر الحكومية التي استولوا عليها زيادة على غيرها وزارة المعارف وجعلوا يخرجون منها الموظفين الوطنيين ويعينون رجالهم بدلا عنهم وكانوا يقصدون افساد النشء في الدروس التي كانوا يضعونها وكانوا يعينون المعلمين الاخصائيين في غير دوائر اختصاصهم :

قيدوا النشء وبثوا سُمَّهم ... في بنينا الانقياء الابرياء
حصروا التعليم في أذنابهم ... وببعض العاجزين الضعفاء
كم وكم قد غيروا برنامجا ... قصدوا في وضعه قتل الذكاء
ملؤوه بدروس كلها ... سفسطات (وعلاك) وهراء
تجعل التلميذ عبدا خانعا ... اتكاليا وقاحا ذا بذاء
فغدا الشبان أو أكثرهم ... طمعا بالكسب من دون عناء
يؤثرون صنعة التوظيف كي ... يبلغوا فيها وجاهات الثراء
اذ رأوا جل الألى قد وصلوا ... للكراسي أصبحوا في الاغنياء

في فيه ماء

وعلى هذا تراهم قدَّموا ... من يماشيهم وصدُّوا النجباء
والألى لم يخضعوا للذل من ... نشئنا الاحرار أصحاب الاباء
تركوا التوظيف أما من له ... اسرة معدودة في الفقراء
سار معهم مرغما وا أسفي ... فغدوا مثل الذي في فيه ماء

ابعدوهم للهفاء

والذين حصّلوا بالفعل ما ... فيه نفع مثل علم الكيمياء
أهملوهم والألى صادفهم ... شبه حظ أبعدوهم (للهفاء)
عيّنوا المختص في تاريخنا ... مثلا استاذ درس الفيزياء
وبذا قد فتحوا بابا لكي ... يفسدوا الناشىء من أهل الذكاء
أفسدوا فيه فريقا طيبا ... لم يكن فيما مضى يدرى الخناء
وفساد الخلق في أقطارنا ... قد فشا في كل دار وفِناء
كل قوم فسدت أخلاقهم ... فعلى اوطانهم قولوا العفاء
فا نحلال الخلق داء قاتل ... ماله بين البرايا من دواء
انما الجهل لشعب ناهض ... هو خير من فساد العلماء

المستشارون

بعد ان دخل الافرنسيون بلاد الشام جعلوا يقربون من يواليهم ويبعدون الوطنيين عن الوظائف ولما كان أهل الفضل يبتعدون عن المستعمرين جعل هؤلاء يقربون (العوانية) الاسافل الذين لايخشون الله في بلادهم فذكرت ذلك في الابيات التالية :

بلبلوا الشعب وخلوا جمعنا ... بددا نحيا ببؤس وشقاء
واشتروا بالمال بعض السفها ... وبنيل الجاه ساقوا البسطاء
نخبوهم من حثالات الورى ... ثم قالوا هؤلاء الوجهاء

هكذا احتلوا بلادا قدمت ... لهم في الحرب قربان الفداء
وعلينا انتدبوا بعضهم ... سنّة الكون حيال الضعفاء
عينوا الحكام ممن سلموا ... كل شيء لهم دون حياء
فغدا بالاسم حكام لنا ... ظاهرا والمستشارون وراء

عباد الكراسي

قلنا ان الوزير لم يكن له من الامر شيء ولكنه فرح باسم الوزارة وراتبها وكان رجال الاستعمار يهزؤون باكثر هؤلاء الوزراء ويضحكون ويغمزون بعضهم باعينهم عندما يقولون لوزير من وزراء الحكومة (صون ايكسيلانس) ياصاحب المعالي وقد اشرت الى هذا بالابيات التالية :

ويح عباد الكراسي انهم ... سلّموا اقدارنا للغرباء
سجدوا ذلا وباعوا مجدهم ... وسواد الشعب عنهم في عماء
حُدْبا تلقاهم اذ أكثروا ... بين أيدي الأجنبي الانحناء
وعلى هذا مشت حكامنا ... وادعوا انا بهذا سعداء
جعلونا (كركوزا) في الورى ... ضحكت منه الشعوب الأقوياء
مثّلوا في الحكم دورا مضحكا ... يالله دورا حريا بالهجاء
فاجادوا الدور في تمثيلهم ... ويحهم مثل نجوم السينماء
كل ماناله من تقديرهم ... في ختام الفصل من حسن الجزاء
بسمة ظاهرها عين الرضا ... وبها أقصى معاني الازدراء

كلهم خصم

في الحرب الثانية كانت دعايات الدول تملأ الفضاء ، كل دولة تسعى بكل مالديها من قوة للتأثير على الشعوب لاستجلابها الى صفوفها وكانت كل دولة في اذاعتها اليومية تذيع الوعود المنمقة لاستجلاب الشعوب ولا سيما العرب والمسلمين منهم خاصة فكانوا يقرؤون القرآن في كل يوم في الاذاعات مع ان الانكليز وبقية الدول حاربوا القرآن مئات من السنين وقد رأينا في فلسطين تمزيق القرآن من قبل الجيوش الانكليزية وكم اهبنا بالدول الحرة لمساعدتنا اثناء ثوراتنا ضد الافرنسين ولو بالادوات الطبية فلم يأبه أحد منهم بنداء الانسانية واستغاثتها ومع هذا كنا نرى بين الاهلين من يدعو الله ان ينصر الالمان ومنهم من كان يدعو لنصرة الانكليز ومنهم من كان يدعو لنصرة الافرنسيين وكل من يدعو لدولة يظن انها اذا دخلت البلاد تنقذنا من العذاب :

حسبنا ياقوم ذلا وكفى ... لعبهم فينا فما نحن جداء
مالنا في الغرب خل صادق ... كلهم خصم على حد سواء
أين كانوا قبل داجي يومنا ... يُظهرون الود في صدق الولاء
عندما اشتدت بنا محنتنا ... ودعوناهم وخضنا في الدماء
يوم ثرنا وطلبنا حقنا ... بصفاح البيض شأن الشرفاء
أغلقوا آذانهم عن صوتنا ... فمضت أصواتنا ذرّ الهباء
لم يساعد أحد آنئذ ... بضماد أو علاج أو دواء

يا للكرام النبلاء

مالهم ذا اليوم هبوا وعلا ... منهم في آل قحطان النداء

ألى ذا اليوم حتى عرفوا ... ضيمنا يالكرام النبلاء
يالانسانية لم يقصدوا ... غير وجه الله فيها ذي العلاء
هل تناسوا عمر المختار أم ... هل نسوا أعمالهم في ليبياء
والألى عدوا تنادينا الى ... نصرة الأوطان بالأمس اعتداء
ألهبت نيرانهم أقطارنا ... وادعوا أنا عصاة أشقياء
رجعوا اليوم ونادوا باسمنا ... مظهرين الود مع صدق الولاء
بعد ما قالوه في آياتنا ... من أليم القول بهتا وافتراء
أصبحوا يتلونه في وقتنا ... في اذاعاتهمو صبح مساء
يا لهذا العطف ما أعجبه ... والدعايات التي تملا الفضاء

الاستقلال يؤخذ ولا يعطى

قل لبعض الناس ممن حسبوا ... أن الاستقلال يعطى كالحباء
من أيادي الغير حتى طلبوا ... نصر قوم دون قوم بالدعاء
أمّلوا فيما سيأتي نصفة ... أ الى ذا الحد أنتم أغبياء
نحن ان لم ننتظر من ذاتنا ... نصرة كيف نُرجّي الغرباء
فعلينا أن نربي نشأنا ... بعلوم واختصاص وفداء
وليك الافرنج في أعمالهم ... عبرة الدهر لنحيا بهناء
فغبي جاهل لايستوي ... والأخِصّائي بعصر الكهرباء
أمة ذات عديد فائق ... مالها اليوم كيان أو وقاء
أمة فيها الرؤوس اختلفوا ... هي نهب لجميع الغرباء

أمة قطرية مشغولة بأمور كلها (أكل هواء)
أمة أقطارها ما مثلها في الورى تربا وماء وهواء
أمة بالوهم تحيا وهي في حاجة حتى الى زر القباء
أمة تسعة أعشار القرى من قراها ما بها بيت خلاء
أمة العلم فيها ناقص وبنوها فُتنوا بالادّعاء
أمة أبناؤها لم يعرفوا ما بها من جوهر تحت العفاء
أمة شبانها قد فضّلوا عيشة الذل فعاشوا أشقياء
أمة خوّانها في نعمة وبنوها الصيد فيها تعساء
أمة أحرارها من أجلها في سبيل المجد عاشوا بؤساء
أمة ليست تجازي خائنا سامها الخسف وتحمي من أساء
أمة ناهضة ليس لها علم يخفق في أوج العلاء
علم مشترك ألوانه حملت رمز الجدود العظماء
ولها في كل قطر راية بل لها في بعضها الف لواء
أمة هذي غدت حالتها ما لها غير اتحاد الرؤساء
فاذا داموا على سيرتهم من عداء وجدال وقلاء(١)
بعد ذي الحرب سنغدو كلنا لذوي النصر عبيدا واماء

احتلوا السماء

يا ملوك العُرب يا ساداتهم يا مجالي عزهم يا رؤساء

(١) القلاء : البغض .

أنيام أنتم في زمن دول الارض به احتلوا السماء
كم رأينا أمة في ساعة ذهبت مع تاجها أيدي سباء

كونوا صرحاء

أجمعوا بالحال يا قادتنا أمركم وادعوا جميع العقلاء
واعقدوا مؤتمرا للبحث في كل ما صرنا اليه من شقاء
وادرسوا درسا عميقا وابحثوا فيه أسباب الونى والارتخاء
واتركوا فيه أنانياتكم واخرجوا منه بحزم واخاء
واجعلوا انقاذنا من بؤسنا هدف البحث وكونوا صرحاء
وضعوا برنامجا متحدا بينوا فيه سبيل الاهتداء
واجعلوا مطلبكم من خصمكم واحدا وامشوا به للانتهاء
لا تخافوا أجنبيا أبدا باتحاد الرأي أنتم أقوياء
لاتقولوا نحن عُزل" وهمو عندهم أحدث آلات الفناء
الحفوا يا قوم في مطلبكم لا ينال الحق الا الحفواء
وقفة حازمة تنقذنا ان رأوا جداً وحسّوا بالمضاء

قاطعوهم

فاذا ما أنصفونا فبها واذا ظلوا على هذا الجفاء
قاطعوهم أبدا لا تشتروا منهم شيئا ولو شسع حذاء
واعلموا الاضراب في أيامنا أنه خير سلاح الضعفاء

هـذه الحرب التي قـد غسلت ... أرض أوربـا بسيل مـن دمـاء
غـاية الغـالـب فيهـا أتتمـو ... كلكُهـم طـالب صيـد وغـذاء
حاربـوا كي يفتحـوا أسواقهم ... لشعـوب الارض أخـذا وعطاء
هـا أنا أخلصت في نصحي لكم ... ضل من ضيـع هـدي النصحاء

احـرى بالفنـاء

ان صبرنـا وانقضى الوقت ولم ... نقتنصهـا فرصـة تحيي الرجاء
وظللنـا هكـذا في عمـه ... مالنـا عـن أرضنا الا الجـلاء
فـاذا لـم يعنـكم مستقبـل ... لصغـار مـن بنيـكم أبريـاء
والى مـن لم يزل في صلبـكم ... فاتقـوا الله بـأرض الانبيـاء
واذا لـم تتقوا الله بهـا ... فلـكم في وطـن العرب العزاء
فهـو فـي نـزع أليـم قـاتل ... فمـن اليـوم استعدوا للـرثاء
واخلعوا ثوب الرجـال واستروا ... وجهكم بل والبسوا ثوب النساء
أمـة فيـهـا رجـال مثلنـا ... طلقـوا النخـوة أحـرى بالفناء

مناخل الماء

كان شتاء ١٩٤٠ شديدا في عمان فأحببت أن أنزل الى أراضي غور العدوان وأقضي فيه فصل الشتاء ودرجة الحرارة فيه لاتنزل في برودتها عن الخمس عشرة درجة فمانعني المرحوم ابو صياح حمدي الصفدي مع انه يعرف ان داري التي اسكنها في اعلى جبل عمان غير صالحة لسكنى الصيف فضلا عن الشتاء فقلت :

أبا صياح غادرنا (الخريف) وأصبحنا على باب الشتاء
وعمان وأنت بها عريف لها برد أشد من القضاء
وجسمي ناحل كلٌّ نحيف على جلدي أرق من الهباء
وداري كل ما فيها مخيف محطمة النوافذ والكواء
كدار (جحا) عضائدها وقوف بلا حيطان أطراف البناء
وأركان مضعضعة ركوع تهيأ للسجود من العياء
ثقوب سقوفها كالزمر دوما تصفر عند تحريك الهواء
فان جاد السحاب ولو بطل تقول مناخل ملئت بماء
وليل الصحو من أثقاب سقفي أراعي النجم في أفق العلاء
وارض الغور في هذا الشتاء حكت بالحر خط الاستواء
وبعدي عن جميع الناس أضحى ضروريا لاحظى بالهناء
فكم عُذبت في زمني جهارا وكم أُشقيت سراً في الخفاء
فدعني من ملامك ان قلبي تحطم من مقارعة البلاء
فلا تعذل طريدا ذا شجون كثير الهم منقطع الرجاء
وخير من بقائي في محيط به الاحرار تحسب في الاماء
وجودي في مكان ليس فيه سوى الجارين من ذئب وشاء

عزاء للمروءة

صحوت من النوم وأخذت جريدة الفيحاء العدد ٢١٩ واذ بعنوان كبير في صدر الجريدة يقول في ذمة الله مات الفارس الهمام نجيب الريس عزاء للمروءة والوفاء بعدك يا أبا رياض فطالعت المقال وتأثرت جدا على الصديق نجيب واخذت الشطر الاول من المقال وبنيت عليه هذه القصيدة مع اني لم أرث أحداً في حياتي والقيتها في يوم الدفن على القبر .

عـزاء للمـروءة والـوفـاء ... عـزاء للـرجـولـة والابـاء

ألا فـي ذمـة الرحمـن فـرد ... بمفـرده كجيش فـي المضـاء

فان ذهب النجيب فسوف تبقـى ... لنـا ذكـراه خالصـة النقـاء

نـجيـب شـهـادة لله منـي ... بأنـك كنت مـن أهـل الوفاء

يراعك لم يُحطّـم في الرزايـا ... كغـيرك يـوم واقعـة البـلاء

وقفـت النفس للاوطـان حتى ... سمـوت بهـا الى أوج العـلاء

وأدّيـت الأمـانـة غـير وانٍ ... ولـم ترهـب مصـاولة العداء

ولـم تحفـل بسجـن أو بنفي ... ولا بالمـوت مرهـوب اللقـاء

وأنت اليـوم تغفـي مطمئنـا ... قرير العـين مـن بعـد العنـاء

وقـد شاهدت للاوطـان عـزا ... يـرف عـلى أمانيهـا الوضـاء

فطب نفسا عـلى وطـن سيبقى ... ليـوم الحشـر مرفـوع اللواء

« ما نحن عليه الآن »

طلب مني الاستاذ المرحوم محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي القاء كلمة بعد محاضرته عن قاسيون وكان القصد القاء المحاضرة في جبل قاسيون على طلاب الجامعة السورية ولكن الطقس تبدل فبدلوا محل الالقاء والقيت المحاضرة في المجمع العلمي وبعد انتهاء المحاضرة قدمني الى الطلاب والقيت هذه القصيدة وذلك في ليلة الجمعة في١٤ ايار ١٩٢٣ وحضرها الرؤساء صبحي بك بركات رئيس حكومة الاتحاد وحقي بك العظم رئيس دولة دمشق ونشرت في جريدة العمران في ٦ منه والظريف اني لما وصلت الى مقطع الرؤوس جعل الناس ينظرون الى الرئيسين بنظرات التهكم فكاد ان يُغمى عليهما من الحياء واحتجا في اليوم الثاني على رئيس المجمع لسماحه لي بالقاء هذه القصيدة :

جعل الاله لكل شيء ميزة ... من غيره في الناس والأشياء
وبلادنا من غيرها قد ميزت ... بصلاح تربتها وعذب الماء
وبروضها وسمائها وبحارها ... وهوائها ولطافة الندماء
ونباهة الافراد في أعمالهم ... وتشتت الاهواء والآراء
وتعدد الاديان في سكانها ... ومذاهب جلت عن الاحصاء
وتحاسد المثرين لا لمقاصد ... تسمو بهم كمقاصد الشرفاء
وتزاحم وتنافس وعداوة ... من ذي الجمود لسائر الأدباء
أما البلية وهي أكبر ضربة ... دعوى الجهول مراتب العلماء
وجماعة في كل دور شأنها ... بث الفساد بلا أقل حياء

أبدا تقلب حين أن نفاقها ... يبدو لنا كتقلب الحرباء
ونوابغ الشبان وهابية ... بل « فرمسون » بنظرة البسطاء
ومدارس الفتيات كفر بيّن ... لتظل بنت الشرق قيد شقاء
ومقلد الافرنج في حركاتهم ... متقدم بتقدم الأزياء
سل بعضهم ماذا يساوي عنده ... خمس بخمس قال عشر نساء
ومصيبة الأهلين فيمن سافروا ... للغرب للتحصيل «والاخصاء»
يأتون لا يدرون غير سفاسف ... وتحية الاقران بالايماء

«باردون أخي، ميرسي، دخيلك، كيس كسه ، أورراية ، هلو »
واللفظ كالببغاء

واذا تنازل بعضهم لخطابنا ... بلسانه فرطانة التأتاء
ومحاسن الافرنج لم يدروا بها ... وأتوا لنا بالسوأة الشنعاء
تركوا اللباب وبالقشور تمسكوا ... حتى أساؤوا سمعة النجباء
ومشوا بنا شوطا بعيدا انما ... للخلف كانت خطوة النبلاء
أما الألى فازوا قليل عدّهم ... فتراهم كالنجم في الظلماء
شبان هذا اليوم انا أمة ... كادت تموت لكثرة الاهواء
وبلا جدال لا حياة لقومنا ... الا بعلم البنت والابناء
ويكون أتباع المسيح وأحمد ... في عيشهم كالماء والصهباء
يا قاسيون وأنت خير جبالنا ... فاخر بفضلك قمة الجوزاء
أنت الذي نادمت عدة أعصر ... نخب الزمان وصفوة الشعراء

أنت الذي شاهدت ألف بناية ... للعلم قد درست دروس عفاء
لاتبكِ شعبا قد تأخر مرغماً ... من فيه نبض عدَّ في الأحياء
نهض الشباب وقد عرفنا داءنا ... ودواءنا بتخصص الزعماء
وأنا اخالف في الرؤوس قضية ... غلطت بها نظرية الحكماء
واذا تعطلت الرؤوس بقطرنا ... فلنا الهنا بسلامة الاعضاء
ما كل جسم قد تعطَّل رأسه ... عدُّوه في الدنيا من الأشلاء

(حكام وشعب)

قلت هذه القصيدة في الحرب العامة ١٩١٤ : والقيتها في نادي جمعية الائتلاف :

مدى الازمان حكام وشعب ... كما عرف الورى ذئب وشاء
حكومات الزمان بغت علينا ... وحكام البرية قد أساؤوا
لماذا أعلنوا حربا عوانا ... وقالوا هكذا حكَم القضاء
لقد خاضوا الحروب ولم يبالوا ... بمن يقضي ولو عم الفناء
فكم ركب قضى في الحرب جوعا ... وآخر فيه يقتله الظماء
وكم أم تنادي عن فؤاد ... جريح نجلها ولها البقاء
تظن بأنه في الحرب حي ... ومن زمن به وقع البلاء
وكم زوج مشى للحرب كرها ... وزوجته ينهنهها البكاء
وكم من أسرة فقدت بنيها ... وفي أفرادها دب الشقاء
اذا كان السلام لكم مراما ... فما هذا التطاحن والعداء

وعدتم شعبكم بالسلم زورا فأين وعودكم ؟ أيـن الوفـاء ؟
خدعتم كـل سكـان البرايـا بسـلم مـن معـانيـه الهنـاء
فصـدقنـا وصفقنـا سـرورا وقلنـا سوف ينتشـر الأخـاء
ولكـن السـلام بـدا كـلاما وبـان المـين وارتفـع الحيـاء
(ولاهي [1]) والعهـود بها لهـوتم فخـاب الظن وانقطـع الرجـاء
وعمـران البـلاد غـدا خـرابا فيكفـي منكـم هـذا الريـاء
بعصـر العـلم بالتهـديم قمتم فـأين العـلم أيـن الارتقـاء
وأين الرفـق بالانسان قولـوا أجيبـوني اذاً يـا أدعيـاء
دخلنـا في غمـار الحرب قسرا وانـا مـن جـرائرهـا بـراء
اطاعتنـا لكم في الحرب ليست سـوى بـله فنحـن الأغبيـاء
فكفـوا شـركم عنـا وذودوا أذاكـم كي نعيش كمـا نشـاء

(١) مدينة لاهاي .

كل حصاة في ممالكنا قلب

وقلت في حرب طرابلس الغرب :

أرى السلم أضحى قسمة الغرب وحده ... كأن بلاد الشرق ليس لها صحب
يقول لنا التاريخ يا ويح أمكم ... ألا فانهضوا واصحوا فقد شبت الحرب
يهم رجال الغرب في سلب ملككم ... فان تحذروا خطبا فقد أقبل الخطب
بدار بني عمي أروني سيوفكم ... فان رؤوس القوم قد شاقها العضب
فما اليوم الا يوم عز ورفعة ... كما ان رفع الشان تأتي به القضب
ولا يطمع الاعداء في سلب ملكنا ... فكل حصاة في ممالكنا قلب

* * *

السيف اصدق انباء من الكتب

قلت هذه الابيات وأنا في المنفى سنة ١٩٣٦ :

حسن السياسة محمود عواقبه ... والعنف في الناس يدعو الناس للشغب
والحكم بالسيف لا يبقى الى أمد ... لاسيما في عهود العلم والأدب
والعرب قد عرفوا حق الحياة فما ... من قوة ترجع المظلوم عن طلب
ان لم تنل حقنا بالسلم من دول ... ظلت مواعيدها بالختل والكذب
فليس غير الذي أوصاه شاعرنا : ... و«السيف أصدق أنباء من الكتب»

* * *

قرض الشعر

طلب مني المرحوم حليم دموس تقريظ كتابه المثاني والمثالث فقلت :

ليس قرض الشعر بيتا صب في ... قالب الوزن خلت منه العيوب

انما الشعر الذي يطربني ... وفؤادي من معانيه يذوب

هو وحي كلما رددته ... كالمثاني هز أوتار القلوب

نيويورك ام حلب

في سنة ١٩٣٨ ارادت حكومة امريكا اقامة معرض دولي فدعت اليه جميع دول العالم ، ومنها حكومة سورية في ذلك الوقت. ولما كان الحكم بيد الافرنسيين وكانت الحكومة الوطنية المستقلة حديثا ليس بيدها من الامر شيء كتب اليَّ المرحوم الدكتور فؤاد شطارة رئيس الجالية العربية في نيويورك يطلب مني باسم الجالية التوسط لدى الحكومة السورية للاشتراك في هذا المعرض ليرفع السوريون رؤوسهم بحكومتهم المستقلة ووعدني بمساعدة الجالية لنا بكل ماليها من امكانيات فراجعت الحكومة فاعتذرت لعدم درسها القضية وعدم وجود الوقت الكافي لدراستها لقرب موعد افتتاح المعرض، فتطوعت بالذهاب الى نيويورك لدرس الحالة على نفقتي الخاصة، فاذا وجدت بامكان الحكومة الاشتراك بالمعرض بما يليق بشأن بلادنا اشتركت والا فلا . فسافرت ودرست الحالة وساعدتني الجالية عند ادارة المعرض فاخذت لها جناحا خاصا دون مقابل وطلبت الادارة خمسين الف دولار مقابل اشتراكنا بالمعرض تدفعه الحكومة كرمز لاشتراكنا ، وتبرع المهاجرون بثلاثين الف دولار وقالوا ان اشتراك الحكومة بالباقي هو كرمز لاشتراكها رسميا ورفعت العلم السوري بيدي بين أعلام الدول المشتركة ولا يخفى ان اقل دولة صرفت اكثر من مليوني دولار على جناحها فأبرقت الى الحكومة برقية مطولة افهمتها امكانياتنا وطلبت منها الموافقة على الاشتراك فطلبتني الى دمشق للمذاكرة فعدت الى دمشق ورأيت مقاومة شديدة من الحكومة والكتلة ، وسأفصل هذه القصة في بحث خاص أصدره قريبا في مذكراتي ، فعدت واحضرت الوثائق التي تساعدني على اقناع المجلس النيابي بلزوم الاشتراك ولكن بكل أسف رأيت معارضة شديدة خصوصا من الكتلة الوطنية التي كنت أحد أفرادها وذهبت الى حلب لاقناع تجارها بلزوم الاشتراك فوجدت منهم فتورا ظاهرا ولم يستقبلني احد من

أصدقائي مع ان استقبالي في نيويورك كان حافلا اذ اشترك ثلاثمائة سيارة تحمل أعضاء الجاليات السورية واللبنانية من نيويورك والولايات المتحدة الذين اموا نيويورك لاستقبالي بعكس حلب التي قام رجال الكتلة الوطنية فيها بمعاكستي وقام رجال الاحزاب المعارضة بمقاومتي أيضا في المظاهرات التي نظموها في مسجد حلب ، فعدت الى دمشق متألما ، وقلت :

مالي أرى الناس في الشهبا قد انقلبوا ... أفي (نيويورك) أنا أم هـذه حلب

في أرض (سام) وليست من مرابعنا ... قد زارني الف شخص كلهم عرب

وفي بلادي وبين الاهل احسبني ... كـأنني أجنبـي مـاله نشـب

من ذا أعاتب في قـومي وفتيتهم ... ممن بلوني وهل يجدي ترى العتب

أين الألى كانت الأعـداء ترهبهم ... أين الملبون منهم ان هم انتدبوا

أين الرفاق الألى في كل واقعـة ... الى هنانو ولي في أمسنا انتسبوا

أما دروا اننا ذا اليـوم في خطر ... وفـي تفرقنـا للأمـة العطب

(فالعن) أبا طارق في القبر من نكثوا ... عهد البلاد ومن في غيهم سربوا

ومن نسوا صالح الاوطان في زمن ... الذل فيه على السـكان ينسكب

وسامح الله اخوانا لنـا جهـلوا ... أن الزمـان برمش العـين ينقلب

والله يحفظ صحبي رغم جهلهـم ... وينقـذ العرب قومي أينما ذهبوا

(اذا غاب الاسد تولى الثعلب)

في عام ١٩١٦ انتقلت الفرقة ٢٧ العثمانية الى بئر السبع وبدلوا قائدها العقيد ابراهيم بك بالعميد عصمت بك الذي غدا أخيرا عصمت باشا الملقب باين اونو ، وكان اليد اليمنى لمصطفى كمال أتاتورك ، وكنت قائدا لمقر الفرقة المذكور وضابطا لاعاشتها وقائدا لنقلياتها . وبعد وصول عصمت بك ببضعة ايام امر بنقلي الى الجبهة رغم حسن ادارتي والسبب اني ابن عرب فقلت قصيدة ضاعت مني وبقي بفكري منها هذه الابيات :

يعاندني دهري كأني عدوه ... وتنشب في صدري وعنقي مخالبه

يناصبني البغضاء مذ كنت يافعا ... كأن له دينا علي يطالبه

يعز علي اليوم أنّي لا أرى ... لدى من أضاعوني شريفا أعاتبه

يهون عليّ اليوم أني لم أجد ... لدى رصفائي من يعي اذ أخاطبه

وكل عزائي أنهم ليس فيهمو ... كريم اذا ما فاخروا عز جانبه

وأن أسود الغيل ان غاب حكمها ... تولت شؤون الغاب عنها ثعالبه

(عـير الـحي)

كانت سورية ولاية من ولايات الدولة العثمانية ولما اعلنت الحرب العامة الاولى سنة ١٩١٤ دخلت تركيا الحرب ودخلنا معها لان العرب كانوا من رعايا تلك الدولة . وبعد أن حاربنا في صفوف الجيش العثماني حربا مميتة وكانت العقيدة الاسلامية تدفعنا في بدء الحرب في سبيل الدين ولكن بعد ان نشبت الثورة العربية وظهرت نوايا الاتراك نحو العرب بعد ان اعـدم جمال باشا السفاح خيرة شبان العرب واستلم الجيش شبان الاتراك وكان الضباط في المدن يتلذذون بحياة المرح ويأخذون أرزاقنا من قرانا ويصرفون المال المحصل من بلادنا على سفاهتهم قلت :

أرى ان هذى الحرب لادرّ درها ... رمتنـا بشر لا تطـاق مصائبـه

ولم أدر أسبابا لذا الشـر كلـه ... فمن ذا الذي قمنـا اليـه نحاربه

وهل من عدو للعروبة غـير من ... يسومهم خسفا فتصفو مشاربـه

نموت لنحمي ملك من رام هلكنا ... له النصر في العقبى ومنا كتائبـه

وكل شعوب الارض تسعى لمجدها ... وكل أخى حق فبالسيف خاطبـه

ونحن كعير الحي نسعى لغـيرنا ... نحارب بل نقضي لتقضى رغائبه

فكم اسرة في العُرب زالت من الورى ... وكم سيّد في العرب قد ذلّ جانبه

وكم من فتى في القفر أضحى مشردا ... سليب الكرى يرعى السهى ويراقبه

وشبانهـم في داره قـد ترنحت ... سكارى وليل الأنس تزهو كواكبه

وبينهـم منـا فتـاة شـريفـة ... يداعبهـا هـذا وهـذا تداعبـه

أضرّ بها جُهـد الطـوى فأذلهـا ... وراحت تبيع العرض مذ جاء طالبه

ونحن على الأبواب شبه عبيدهم ... فمن ذا ترى يرضى بما أنا كاتبه

وأكثرنا لا زاد عند عياله ... وأوسعنا بالعيش ضاقت مذاهبه

وأموالنا حِلٌّ لهم يصرفونها ... على فسقهم والدهر هذى عجائبه

أليس لنا عرض ألسنا حماته ... ومن لي بأخذ الثأر بل أين صاحبه

ألا اننا يا قوم ذلت نفوسنا ... كثيرا وهذا بعض ما أنا حاسبه

فشعب غدت في الناس هذى فعاله ... أجيبوا بماذا غير هذا أخاطبه

فأين أباة الضيم من نسل يعرب ... وتعسا لهذا العيش بل بئس راغبه

وبئس الذي يرضى بخسف وذلة ... وخاب فتى باتت كلاما مطالبه

فان لم نقم للخصم نمحق جيشه ... ونطرده بالسيف والله غالبه

وان لم يكن هذا فموت معجل ... لترتاح نفسي فيه أو ما يقاربه

وان لم يكن موت اقول مرددا ... وقلبي من الاحزان تبكي جوانبه

«الا ليت لي وجدان قومي فارتضي ... حياتي ولا أشقى بما أنا طالبه »

أحط من الكلاب

أرادت السلطة الافرنسية في دمشق في سنة ١٩٣٩ تغيير سياستها في سورية وارسلت مفوضا ساميا من كبار المستعمرين المدربين على حبك المؤامرات الدنيئة وهو المفوض السامي المسيو (بيو) وقد حاك سنة ١٩٤٠ مؤامرة ظن نفسه يتوفق فيها ويضرب عصفورين بحجر واحد وذلك انه رتب بواسطة أعوانه من ساقطي المروءة مؤامرة دفعوا فيها بعض الشبان السذج المتدينين فقتلوا الدكتور المرحوم عبد الرحمن الشهبندر واتهموا بقتله رجال الكتلة الوطنية وألقوا القبض على أكثر من خمسين شابا من المنسوبين الى الكتلة الوطنية وزجوا بهم في سجن القلعة بدمشق وهرب كبار رجال الكتلةوالتجؤوا الى بغداد والقاهرة خوفا منالسجن وبهذا العمل رموا الفتنة بين الوطنيين بحيث جعل رجال حزب الشهبندر وأقربائه وأنسبائه يهاجمون الوطنيين من الكتلويين وانشق الشعب السوري الى قسمين أحدهما شعبي أي من رجال الشهبندر والآخر وطني من أنصار الكتلة الوطنية واختبأ وراء الشعبيين جميع الرجعيين والجواسيس وأنصار الافرنسيين وجعل جميع هؤلاء يهاجمون الوطنيين متخذين قضية المرحوم الشهبندر كقضية قميص عثمان ، ومضت مدة طويلة كان اذا مر أحد أنصار الكتلة أمام أنصار الشهبندر يكون عرضة للتعدي والانتقام وازدادت الحالة بشكل لم يعد يطاق واستفاد الافرنسيون من هذا الانشقاق وتمكنوا من القبض على زمام البلاد وكادوا يخنقون صوت الشعب المسكين وكنت في تلك الاثناء في شرقي الاردن لاجئا كما ذكرت في غير هذا الموضع ، وكنت أسمع كل يوم حوادث تمر في دمشق لايقبلها حر ، وليس في البلاد من يرفع صوتا فقلت :

علام الشام ذلت واستكانت ... الى الافرنج بعد الانقلاب
وأين الصارخون بكل ويل ... على الاوطان خوف الانتداب
أما كانت بها الأحزاب تبكي ... بكاء الشامتين على المصاب
وكانوا أمس من حنق وبغض ... على بعض أشر من الذئاب

أيا من عارضوا قولوا أكنتم ... على حق بهذا الاضطراب
لقد مزقتموا وطنا شقيا ... وأسلمتم بنيه الى العذاب
حفرتم حفرة لبني أبيكم ... فغصتم في الحفيرة للرقاب
فلم تدعوا أخا يمشي بعزم ... ولا أنتم مشيتم للغلاب
فكنتم بالذي جلبت يداكم ... على الأوطان أشأم من غراب
كقاتل والديه يروم ارثا ... أضاع الارث من بعد العقاب
وفي هذا التطاحن قد تبدى ... لنا شره الرجال بلا حجاب
قد استهوتتموا صعب المراقي ... ومن ظمأ خدعتم بالسراب
ويوم الجد أمسيتم هباء ... وصرتم دون ذرات التراب
علينا هجتموا كليوث غاب ... وها أنتم جحرتم كالزَّباب(١)
تخاذلكم أتى شؤما علينا ... وأودى بالغطارفة الصَّلاب
وأصبح كل صوت من زعيم ... لدى أخصامنا طن الذباب
فأين محبة الاوطان قولوا ... وأين صراخكم يا للمصاب
ملأتم صحفكم زورا وغيا ... بمختلف الشتائم والسباب
وقد بدلتم الاحسان سوءا ... وما نُوِّلتموا غير التباب
جعلتم من حبيبات الخطايا ... كأعظم ما يكون من القباب
وجرأتم على الاحرار ناسا ... لئاما يفتكون بحد ناب
وأفسدتم بما أرجفتموه ... من الاخبار أخلاق الشباب
أنحن خصومكم حتى سكتم ... أم الاخصام أهل الانتداب
سكتم اذ خسرتم كل شيء ... وعادوا بالمغانم والسلاب
فلو كنتم رجالا ما تركتم ... غريب الدار يحتل الروابي
ولكني أقول ولا أبالي ... بأنكم أحط من الكلاب
وليس العُرب أهلا للمعالي ... اذا تركوا الجناة بلا عقاب

(١) الزباب كسحاب : فأر عظيم أصم .

هاشا باشـا

كان الامير عبد الله بن الحسين في أيام حكمه في شرقي الأردن يقـلد السلطان عبد الحميد باعطاء الرتب والألقاب كما أنه كان يقلده في أيام الأعياد وكان جميع الحكام ووجوه البلاد يذهبون على اختلاف أصنافهم ومراتبهم أيام الاسبوع لزيارته ، وأيام الاعيـاد يذهبون باللباس الرسمي يحمـلون الأوسمة للتبريك وقد زاد عدد البشاوات في أيامه على مائة وخمسين باشا هذا غير البكوات الذين لا حصر لهم وقد ذهبت الى قصر رغدان وهو القصر الأميري في يوم عيد فرأيت الناس تتراكض للتبريك ولفت نظري شيخ كبير يركض كالاولاد الفرحين بلباس العيد يزهو بأوسمته الكثيرة وينتقل مـن حلقة الى حلقة يعايدهم ، فسألت من هذا قالوا هاشا باشا : وقصة هاشا باشا مشهورة في عمان وهي أن احـدى الجرائد كتبت خبر زيارة أحـد رجالات العرب لسمو الأمير عبدالله في عمان فاستقبله الأمير هاشـاً باشـاً وقرأ الوزير المشار اليه الخبر وظن أن الضيف الزائر اسمه هاشا باشا فخـابر ديوان الامير بالتلفون سائلا عـن هاشا باشا وأين نزل وكيف يزور الامـير ولا يخبر الوزراء بذلك فلم يفهموا عليه ما يريد وأخبروه أنهم لم يسمعوا أبدا بهاشا باشا ، قال بلى ان جريدة الجزيرة كتبت الخبر اليوم فراجعوها ولما رجعوا الى الخبر ضحكوا وأفهموه القضية وانه لم يفهم الخبر على حقيقته فخجل من هذا الامر وسموه هاشا باشا ولم يزل الى اليوم شيوخ الاردن يتندرون بهذه القصة المضحكة ، فقلت :

رأيت شيخا برغـدان به مـرح ... يكاد يرقص من عجب ومن طرب

مثل الوليد بثوب العيد مبتهجـا ... في صدره نصف قنطار من (القصب)

أتى يبارك بالعيـد السعيد واذ ... بالناس يومون بالوسطى بلا لعب

وكان قربي صديق رحـت أسأله ... من ذا الذي جاء قال: اسكت بلا شغب

فقلت ويحك اني لست أعرفه ... أجب سؤالي فهل في ذاك من عتب

فقال هذا فلان شيخ أسرته ... ذو مركز لا يبارى اليوم في الحسب

ومجده طارف بالغصب أحرزه ... نال المناصب رغم الانف والشنب

قد كان في الأصل مختارا بقريته ... فجابيا ثم رأسا دون ما سبب

أضحى وزيرا بلا جهد ولا تعب ... وصار باشا فهل في ذاك من عجب

هذا العصاميُّ لا يحتاج ترجمة ... قضى الحياة بلا علم ولا أدب

تحصيله من تجاريب الحياة فلا ... يقيم وزنا لما قد جاء في الكتب

يطالع الصحف لا يدري مناقبها ... ويظهر الفهم (بالتركي) و(بالعربي)

عن (هاشا باشا) أقام الأرض من (زعل) ... و(ضجّج) الناس في الديوان من صخب

سل عنه دائرة الاشغال تنبىء عن ... أحواله فهو في عمّان كالنصب

ما مر يوما بعمال ودائرة ... الا ورقّص من يلقاهموا «دببي»

وان سألتهموا لِمْ لا يراجعه ... من بينهم أحد ان شط في الطلب

قالوا وقد ضحكوا مما تسائلهم ... دعنا بحقك منه انه «عصبي»

وعنده كل أمر جائز واذا ... أعطاك وعدا فلا يخشى من الكذب

تراه عنترة الفرسان منتفخا ... ان جاءه طالب من أي ما طلب

وان رأت عينه (برنيطة) طلعت ... من فرسخ خرّ اجلالا على الركب

فهل عرفت من الياشا فقلت له ... كفى كفى انه صنّاجة العرب

الدهـر دولاب

جاءني أحمد القعقاع اللاذقي يوما في عام ١٩٤١ يشكو دهره لقلة العمل وكنت لاجئا الى عمان أسكن شونة العدوان فاستعنت به على قضاء حوائجي وطبخ طعامي وسكنا في غرفة واحدة قسمناها بستارة الى قسمين قسم لي والثاني للمطبخ وله وكان ابن عمتي ووكيلي على أملاكي السيد حكمت شيخ الأرض يرسل لي راتبا شهريا قدره خمسة عشر دينارا وتأخر راتبي في شهر العيد لأن الجيش الانكليزي أغلق الحدود بين سورية والأردن فاضطررت لاقتراض جنيه فلسطيني من أحد باعة الشونة لاصرفه في العيد ، ودخلت ذات مرة في العيد الى المطبخ فوجدت أحمد القعقاع الطبـاخ يشتم الدهر وهو يرقع قميصي بقطعة من جرابي فقلت :

يا أحمد القعقـاع مهـلا لاتكن ... برمـا ولا تجـزع على الأسباب
فالدهـر دولاب ورزقك قسمة ... والصبر يفتح مغلـق الأبـواب
ان جـاء عيـد فاستدنا (ليرة) ... ورقعت سروالي ببعض جـرابي
كم مرَّ عيـد والدراهم في يدي ... (كالكشك) تأتيني بغير حساب
فاصبر فربـك لا يضيِّع أجرنـا ... والرزق كالآجـال رهـن كتاب
وحياتنـا بالفقـر وهـي بليـة ... تطـوى على جوع ودون ثيـاب
خـير لنا مـن أن نعيش بـذلة ... نحني الرؤوس لطغمـة الاغراب
واذاالحواضروالقصور نَبَتْ بنا ... فلنـا الهنـا بمضارب الاعراب

لغة العيون

لغة العيون تفوق كل لُغات ... توحي عن الأغراض بالنظرات
من غير ما كلم ولا همسات ... بين الأنام تدار باللحظات

* * *

لغة العيون عواطف وشجون ... حركاتهن حواجب وجفون
والهدب بين العاشقين أمين ... يروي الغرام بفاتن اللفتات

* * *

والقصد من نظر المخاطب يفهم ... واللحظ ينبىء بالضمير ويُعْلِمُ
عني خذوا درس الهوى وتعلموا ... ما في عيون الناس من حركات

معاني العيون

بعض المعاني في العيون عويصة ... والبعض ظاهرة بها منصوصة
ولكل معنى نظرة مخصوصة ... فيها الذي يُغنيك عن صفحات

العين (الطراقة)

وهناك عين قل أعوذ بربنا ... طعناتها في الجسم أفتك من قنا
ان مر صاحبها فتضطرب الدنا ... وترى الجميع يعوذ بالآيات

* * *

خوف الاصابة بعضهم قد يتفل ويعوذ بالرحمن ثم يبسمل
كي لايحل به البلاء المنزل بمصيبة من هذه النظرات

خبر التواتر

خبر التواتر في الانام مصدق وقليلهم فيما يقال يحقق
بوذا اله" قومهُ قد صدّقوا بوجوده في الارض والسموات

* * *

فأنا الذي لم أعترف بوجوده ربا فكيف أدير عقل جنوده
فدعوا الجهول بجهله وجموده حتى يعم العلم كل جهات

* * *

مع أنني في ذا أشك وأنكر تلك الأصابة غير أني أعذر
من صدقوها فالوقائع تُذكرُ في كل عصر في حديث ثقاة

* * *

أما عن التأثير خبِّر ما تشا وعن السهام فلا تسل غير الحشا
كم بالمراض السود ويحك من رِشا(١) سخرت مع الجاني من التبعات

* * *

كم ضاع حق ظاهر في لفتة من عين أحور أو فتاة غضة
كم حاكم باع الضمير بغمزة والويل للقاضي من الغمزات !

* * *

والفرق بالتأثير في الالحاظ كالفرق بالتعبير في الألفاظ
ما كل ناظم فلتة بعكاظ ان قال شعرا جاء بالآيات

(١) الرِّشا : مفردها رشوة .

على نهـج خطتي

رشحت نفسي لنيابة المجلس النيابي عـن قصبة دوما سنـة ١٩٤٧ فعاكستني الحكومة الوطنية ورغم ذلك نجحت فقلت :

لكل امرىء شغل عن الناس شاغل ... وشغلي بقومي والبـلاد وأمتي
ثلاثـين عـاما بالجهـاد دفنتها ... ولم أقض منها عشرها بين اخوتي
وأكثـر أيـامي بهـمٍّ طويتهـا ... ونفي وتشريد وسجـن وغـربة
وكل الذي لاقيتـه من نوائـب ... فلم يثنِ من عزمي ولم يوه همتي
ولست ألـوم الأجنبي ولو أتى ... بكل ضروب العسف في أي بلدة
فذاك له حـق به نفع قـومـه ... وما الحـق الا رهـن عزم وقوة
ولم تك من جور الزمان شكايتي ... ولكنما مـن جهـل قومي بليتي
واني على ما فـات لست بنـادم ... وان عقني في الدهر صحبي ورفقتي
ولـو بلغت سني الثمانـين انني ... سأدفع عن قومي بقـدر عزيمتي
وان خانني جسمي لضعف يصيبني ... سأبذل جهدي حسب حالي وقدرتي
فهذي المبادي عن جدودي ورثتها ... وسـوف تماشيني ليـوم منيتي
فهل لشباب العرب عزم فينهجوا ... اذا انطبقت عيني على نهج خطتي؟

وصف حياتي في الطفولة

قبـلات الام

ما الزهر يبسم في الربيـع مداعبا ... ريح الصَّبا في أطيب النفحـات
ما البدر يسري في السماء مفاخرا ... أهـل الجمال وفاتن الغـادات
ما العندليب شدا بأحسن صوته ... فوق الغصـون مردد النغمـات
ما المَلْك فوق العرش في ايوانه ... ينهي ويـأمر في أجـل صفـات
أبهى وأبدع من صغـير عنـده ... أمٌ تميـل عليـه بالـقبـلات

الصغـير انـا

هـذا الصغير أنا كبرت وليتني ... ما زلت ذاك الطفـل طول حياتي
كـي لا أرى أهـل الزمان فانني ... لـم ألق منهـم غـير كل اذاة
فاليـكم مني حـكاية صـادق ... تنبيـكم بالضبط عـن حـالتي
فأنا الشقي من البداية في الورى ... وأنا التعيس بسائـر الاوقـات
وبـلا مغـالاة سأسـرد قصتي ... بتمامهـا فـي هـذه الابيـات

قبـل الترعرع

لمـا بـدأت الفهم قبـل ترعرعي ... وأفـرّق العمـات عن خـالاتي
وجعلت أركض في الدويرة لاهيا ... بالقـط (والخاروف والجاجات)
هـذا ولما كـان ليس لـوالدي ... غيري بطرت كأكثـر (البكوات)

والدل زاد (تدلعي وشطارتي) ومهارتي باللعب والقفزات
وجعلت أخرج بعد ذا من دارنا للركض (كالمغضوب) في الحارات

* * *

ابن خمس سنوات

حتى اذا ما صار عمري خمسة أو ستة أكثرت من حركاتي
وبدأت أسأل كل من صادفته عما أرى في الكون من حالات
وجعلت أعبث بالرياش وغيرها وبكل ما في الدار من أدوات
من ثم أمي أصبحت مع حبها مني تملُّ بأكثر الاوقات
ولذا قضت أمي بقاسي حكمها سجني لكي ترتاح من (برداتي)

في دار (الخجا)

وجعلت أذهب كل يوم حاملا (زوادتي) في السل مع خبزاتي
لزريبة شبه المغار ببردها دار (الخجا)في أسفل (القنوات)
تمسي ونصبح في الرطوبة دائما شبه الضفادع وسط زرب(خجاتي)
البس الحذاء محرم في دارها مثل الدما وتناول الميتات
ودعوا الغسيل وشطف أرض ديارها وكنيفها مع سائر الخدمات

الخجا

أما (الخجا) فكبيرة وكسيحة و(كهينة) شرٌّ من الآفات
وجه قبيح ما رأيت نظيره بين العجائز في جميع حياتي

وكـأن ابليسا أقـام بجسمهـا أو انهـا فـرخ مـن السعـلاة
والخُلق مثل الخَلْق في تشويهه والروح مثل الجسم في العِلاّت
فتصوروا حـال الصغير بقربهـا من ذا يسلِّمْ ابنه (لخجـاة) ؟!

آلات العـــذاب

أما العـذاب فعندها من جنسه الأنواع من ضرب ومن فلقـات
كم من عصا قد خبّأت بجوارها من أجلنا في الطـول مختلفـات
دع عنك ربط الحبـل مع تعذيبنا لأقـل ما نـأتي مـن الغلطـات
ربطت لسان منير ربـع نهـاره ومنير أصغـر اسـرة الدالاتي
اذ كـان يعجز ان يُفرِّق دائمـا باللفظ بـين الـزاي والذالات

والقصة هي

كان المرحوم منير الدالاتي في صغره لايفرق بين الزاي والذال فربطت لسانه بخيط رفيع من خيوط القنب ويسمى بالشام (خيط مصيص) فورم اللسان وضبَّ على الخيط ولم يعد احد يعرف كيف يفك هذا الخيط حتى كاد ان يتلف الغلام وصدف ان الجراح علي افندي الساطي كان واقفا امام داره وداره في القنوات قريبة من دار الخجا سمع بالحادثة فركض وبعد جهد جهيد قطع الخيط وانقذ الغلام وكان والد منير بلغه الحادث فحضر الى دار الخجا واخذ ابنه وبنته بعد ان اعطى الخجا (نفوس) درسا قاسيا من السباب والشتائم واني الى الآن كلما ذكرت هذه الحادثة وفكرت فيها لا أقدر أن أصِفَ ما يصيبني من التأثر :

الختمـــة

ودرست عـاما عندهـا بتمامـه حتى ختمـت وكرَّرت ختمـاتي
ولقـد قرأت بغـير فهـم عندها كقراءة (الببغـا) على العِـلاّت

لكـن أقـر بفضلهـا وبـأنني ... أصبحت أقـرأ أصعب الآيـات
هذا وأسأل ربنـا مـن فضـله ... يسقي ضريح(خجاتي)بالرحمات
ويثيبهـا الرحمـن عنـي جنـة ... لكن يعاقبهـا عـن الهفوات ..

الختمة : معروفة في دمشق الى اليوم يقام لها احتفال في دار الطفل الذي يختم القرآن او في الكتّاب او في دار الخجا وذلك انهم يضعون مصحفاً شريفاً أمام الطفل فيقرأ الفاتحة ثم بعض آيات البقرة ولما يصل الغلام الى آية (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم غشاوة) يخطفون لباس رأسه ويسلمونه الى والده فيعطيهم الجائزة ، فتأمل كيف كـان المسلمون يختمون تعليمهم واعرف لماذا طمس الله على قلوبنا وأصابنا ما أصابنا من الشقاء طوال هذه المدة من الاعوام .. والسنين التي مرت علينا فكان الناس يتقدمون ونحـن نتأخر وأحمد الله أنا بدأنا نسير في ركب الحضارة ، وأرجو أن يكون احتفالنا بنهاية التحصيل بختمة هذه الآية : انا فتحنا لك فتحا مبينا .

الكتّـاب

ونقلت للكتّـاب وهو زريبـة ... أيضا شبيه زرائب (الخجوات)
لكنـه بالطبـع أرقى (تنفـة) ... منهـا على ما فيـه مـن علات
ولكل تلميـذ بـه (صندوقة") ... لمتـاعه والكتـب والورقـات
ولبعضهم (طرّاحـة) لجلوسه ... والبعض جلد من جـلود الشاة
والشيخ فوق التخت يجلس دائما ... ليرى جميـع مصادر الحركـات

الشيخ

والشيخ غرٌّ لاتحيط علومه ... ابدا بغير قراءة الكلمات
طول وعرض جبة وعمامة ... وتمام هذا الخلط بالسبحات
فتراه يدني ذا الجمال لقربه ... دوما ويقصي صاحب العاهات
يحنو على ابن الغني مشاركا ... اياه فيما طاب من أكلات
أمَّا الشنيع اذا تحقق فقره ... فلديه مغضوب مدى الأوقات

الدرس

كلُّ الدروس كما يعن بباله ... «عكّاشة»(١) ودلائل الخيرات
هذا وليس لديه من برنامج ... للدرس أو عدد من الساعات
ان شاء بعد الظهر يقفل بابه ... ويسرِّح الصبيان في الحارات
أو شاء يبقى للغروب مداوما ... في درسه تبعا الى الشهوات
وتراه يوم السبت مسرورا لما ... يأتي به الاولاد من خيرات

الخدم

ولكل شيخ خمسة أو ستة ... من أكبر الصبيان للخدمات
هذا لفرك الرجل أو تكبيسه ... وسواه يشرى أكثر الحاجات
وكذاك آخر قد تخصص ساقيا ... كيما يدير الشاي (بالكاسات)
ولداره ولد يخصص دائما ... للجلي والتعزيل والحطبات

(١) دعاء عكاشة : والعوام في الشام تشدد الكاف .

ولخدمة الاولاد أيضا واحد ... ولجمع ما يبقى من الخبزات
من بعد خمس أو أقل (بنتفة) ... تمضي على الاولاد في السنوات
ينهون في كتّابهم تحصيلهم ... وبظنهم أضحوا شيوخ الآتي
من بينهم من أسسوا لشيوخهم ... كتاب صبيان ببعض جهات
حتى الى ذا اليوم منهم لم يزل ... شيخ يعلم فتية الحارات
هذى من التاريخ أحلى صورة ... صورت فيها مستهل حياتي

نحن في الأموات

كنا في بغداد نسمر ليلا على ضفة دجلة في اوتيل (زيا) وكنا جماعة مؤلفة من خيار رجال العرب منهم مستشار المعارف صادق بك جوهر المصري ومعروف الرصافي وغيرهما من افاضل العراق ومصر فجرى بحث الدعايات الاجنبية ودور الاذاعة والطرق التي يتخذونها اليوم لبث دعاياتهم وكيف اجمع العالم الغربي على فتح باب لقراءة القرآن الكريم الذي كانوا يحاربونه وما زالوا بكل وسيلة من وسائلهم وكيف صاروا يسمحون بتلاوته في الاذاعات وبعدأن انصرف الجماعة انسحبت الى فراشي وانا افكر بهذه القضية وتعصى النوم علي فخطر لي الموضوع فقلت متأثرا :

ما للعداة تغيرت عاداتهم ... حتى ظننا القوم غير عداة
كانوا على القرآن صفا واحدا ... يصلونه حربا بكل قناة
ما لي أراهم في الاذاعة أصبحوا ... يتلونه دوما بكل جهات
لغز عويص حرت في تفسيره ... وشغلت فيه الفكر في خلواتي
حتى حللت كما أظن رموزه ... وعساي فيه موفق النظرات

قرآننا قد كان يتلى دائما ... فيما مضى للعلم والبركات
يُتلى على الاحياء حتى يعملوا ... بنصوصه وأوامر الآيات
وعلى القبور لكي يخفف ربنا ... عن أهلها الآلام بالرحمات
بالامس هذا كان شأن جدودنا ... فغدوا بهذا من ذوي القوّات
لكننا لما تبدل جدنا ... هزلاً وصار القوم غير ثقاة
وتفرق الحكام أيّ تفرق ... وتشتت الاسلام أيّ شتات
سمحوا بأن يُتلى على أرواحنا ... اذ نحن معدودون في الاموات

النيابة في عهد الدكتاتورية

في ١٤ آب سنة ١٩٥٤ حمي وطيس انتخاب النواب للمجلس النيابي السوري وكان عهد الشيشكلي في أوج مجده وكانت الاحوال غير مستقرة فقلت : ونشرت في جريدة الايام بذلك التاريخ .

دخول الانتخاب كما أراه ... بهذا اليوم مجهول النتاج
لهذا لا يليق بأي حرٍّ ... له ماض كبدر في الدياجي
بأن يرضى الدخول بأي دور ... به الحكام تمشي باعوجاج
وان ينجح باجماع سيبقى ... بهاتيك النيابة كالدجاج(١)
ولا يمضي له قول مطاع ... ولا رأي بتنظيم الخراج
لهذا فليقاطع كل حر ... دخول الانتخاب للاحتجاج
على عهدٍ كراسي الحكم فيه ... من الفوضى دواما بارتجاج
فما من فائز الا سيبقى ... شبيه فراشة حول السراج

(١) أي النائب يبقى كالدجاجة التي لاتحكم على بيضها .

أخشى على سلاحي

بعد وصولي الى عمان ببرهة وجيزة سرق اللصوص سلاحا من داري كان أودعه عندي السيد عبد الرحمن الحلبي وقد ظهر الاثر وعرف اللصوص انهم اذا لم يرجعوا السلاح فانه سينالهم القصاص فارجعوا السلاح المسروق وكان بندقية وثلاث مسدسات الا مسدسي الصغير فانهم باعوه الى أحد أبناء الخليل ولم يعد بالامكان ارجاعه وبعد مدة سرق من داري مسدس مع عباءة وثوب حرير . فقلت :

لو اني اليوم في بلدي مقيم ... لما سرق اللصوص بها سلاحي
ولكني بعمان شريد ... وأخشى أن يُغار على سُلاحي

ميثاقي الاقتصادي

ربي براني للكفاحْ ... والجهر بالقول الصراحْ
ما خفت سطوة ظالم ... مهما تنمَّر واستباح
بالحق أجهر عندما ... يطغى على الناس الطلاح
ما قلت قولا مرسلا ... الا لخير أو صلاح
وعملت دون تبجحٍ ... بالفعل في كل النواح
في الاقتصاد مواقفي ... مشهورة في ذى البطاح

ووضعت ميثاقي(١) وقد طبّقته في كل ناح
وعملت لاستقلالنا بالعلم أو حمل السلاح
حتى تحقق بعض ما أرجوه من نيل النجاح
وعلى الشباب شبابنا اتمام أسباب الفلاح

لئيم

وقلت في موظف لئيم :

ان اللئيم اذا تولى منصبا يجزي مليح صديقه بقبيحه
جرِّب لئيما مرة بقضية وانظر تنحنحه لدى تصريحه
مثل الكنيف يثور ان حركته في عصفةٍ يؤذي الانام بريحه

(١) وميثاقي الذي وضعته سنة ١٩٢٣ هو :
اعاهد الله والشرف على أن لااصرف قرشا في حاجة صادرة عن بلاد أجنبية مادام منها في وطني العربي الكبير واني اعزز اقتصاديات بلادي واعمل لترويجها وتصريفها بكل مالدي من قوة ، والوطن شاهدي والله حسبي ونعم الوكيل .

كم دعوت الى الكفاح

في ايلول عام ١٩٥٦ أقام شبان النادي الشرقي تمثيلية يتخللها رقص شعبي على مسرح معرض دمشق الدولي خطبت فيها خطبة مختصرة دعوت فيها الى احياء الرقص العربي القديم المعروف بالسماح الذي رقصته الفتيات في تلك الحفلة وفي اليوم الثاني قامت قيامة احدى الجرائد وهاجمتني مهاجمة قوية لدعايتي الى رقص السماح فقلت وكانت فرق الرقص ترد على دمشق من كل صوب في هذا العام والذي قبله :

أتاني مخبر عن قول لاحٍ ... أتى بصحيفة في ذا الصباح
يهاجمني المحرر في مقالٍ ... أليم جاء عن رقص السماح
كأن الكاتب المغرور أضحى ... بهذا القول من أهل الصلاح
ليظهرني بقومي في ضلال ... ويدعوهم الى سبل الفلاح
ولم يدر المغفل أن قومي ... بلوني في الغدو وفي الرواح
وهم أدرى بأفعالي وقولي ... ومن منا أحق بالامتداح
ومن ذا قام من خمسين عاما ... يجاهد بالمقال وبالسلاح
فماذا قد جنيت بحق ربي ... ليمعن بعض قومي في جراحي

* * *

نرى دول الزمان بكل قطر ... مشت بنهوضها في كل ناح
وذي فرق أتت من كل صوب ... ترينا الرقص في أوج النجاح
وعندهم كما كنا عرفنا ... سواها قد أعدت للنفاح
واني اليوم ان أدعو لرقص ... فاني كم دعوت الى الكفاح
ومن كانت مكانته الثريا ... فلا يؤذيه ترداد النباح

تحكم القرود في الاسود

وقعت ازمة وزارية في شهر كانون الثاني سنة ١٩٤٦ وطالت وكثرت الاستشارات ولم ادع للبحث في الموضوع وجعلوا يستشيرون صبيان السياسة وجواسيس الاجانب من الموظفين الذين بقوا من عهد الافرنسيين

فقلت :

أيؤخذ رأي الكل في أي أزمة ... وزارية في الشام في أي ما عهد

واترك دون الناس حتى كأنني ... أعيش بأرض القطب في عزلة وحدي

وكنت بيوم الروع أيام بؤسهم ... أقاوم أهل الظلم سعيا الى المجد

وكم ذدت عن قومي وأهلي وموطني ... بقولي وفعلي باللسان وبالزند

أخاف على الاوطان من نسمة الصبا ... اذا شابها والله شيء من البرد

ايدعى جهول ثم يترك جانبا ... أخو الرأي كالمنبوذ في أمة الهند

ويؤخذ رأي الخائنين الالى مشوا ... مع الخصم أيام الشدائد عن قصد

ويسأل صبيان السياسة والالى ... أقاموا عماد الملك يُقْصَوْن في البعد

الا بئس هذا العيش في ظل دولة ... سباع الفلا فيها تذل الى القرد

فؤاد الفؤاد

لما كنت ملتجئا الى عمان كان صديقي الشيخ فؤاد الخطيب يزورني كل يوم بعد خروجه من الديوان الاميري وكان آنذاك مديرا للتشريفات . والزيارة كانت اما في الندوة واما في داري وقد ذهب الى دمشق مأذونا وغاب مدة وعاد وذلك في شهر اغسطس ١٩٤٠ وبلغتني عودته فسألت بالتلفون عنه فاجابوني انه ذهب الى الديوان فارسلت اليه هذه الابيات التي لم يكد يتناولها حتى أسرع الى الندوة وكانت الندوة التي أسستها في عمان تجمع خيرة ادباء الاردن آنذاك :

هل يصح الجسم من غير فؤاد ... فعلى الرحب وأهلا بالفؤاد

أصبحت ندوتنا خالية ... بعدكم فهي جماد في جماد

حلقة الآداب في غيبتكم ... سوقها ياشيخ أضحت في كساد

كم ذكرنا اثر الشعر الذي ... هزّ من سحرك أعطاف البلاد

شوقنا كالنار في شدته ... وحديث الشيخ للشوق ابتراد

أنا والاشواق تدعوك معي ... يا أخا العلم ويا صنو السداد

فالى الندوة حالا يا أخي ... ياضياء العين يا روح الفؤاد

الله موجـود

طلبت من أحد اصدقائي مساعدتي بخمسين دينارا لتأمين مابقي علي من تأسيس الندوة وهو المطعم الذي اسسته في عمان سنة ١٩٤٠ فراوغ وامتنع وكانت لي عليه أيادٍ قديمة فقلت :

لاترتجِ العمر من خـلٍّ مساعدة ... فالعمر والرزق للانسان محـدود

ولا تعلّق طوال العمر مـن أمل ... على صديق فما في الناس محمود

ولا تُغرَّ بوعد في حياتك مـن ... خـل وان كثرت منه المواعيـد

فالناس في عصرنا أضحوا سواسية ... ضاع الوفا منهمو والخير مفقود

والجودمات وأما العرف فانطمست ... آثاره اليوم لا عرف ولا جـود

فاعمل بجد ولا تطلب الى أحـد ... معـونة أبـدا فالله مـوجـود

مستجـير يجـير

جاءني سليمان بن عبد الله المقداد من بصرى الحرير الى عمان بلا جواز فكتبت هذه الأبيات وأرسلتها للأمير عبد الله فأمر بالسماح له بالبقـاء في عمان في حين ان أوامر الانكليز كانت شديدة باخراج الذين يدخلون بلا جواز نظرا لان الانكليز في حالة حرب وشرقي الاردن تحت الانتداب الانكليزي وذلك عام ١٩٤٠ م .

اني أجرت دخيلا جـاءني غسقا ... وحلَّ عنديَ ضيفا واهي الجلد

فرَّ الفتى أمس من حوران ملتجئا ... الى رحابك كي ينجو من النكد

وذنبـه مثـل ذنبي انـه رجـل ... يخشى الاجانب من شبانا الجددِ

من آل مقداد من بصرى الشآم أتى وما له غير عبد الله من سند

أجرته باسمكم مولاي عن طمع بحلمكم حيث ان الشخص من ولدي

فهل سمعت بحق الله سيدنا بمستجير يجير الناس في بلد

فأصدر امره وسمح للمذكور بالبقاء في عمان وبقي ضيفي مدة طويلة قضيناها بالسرور .

يلعب بالنهى

في اواخر عام ١٩١٧ وقعت أسيرا بيد الانكليز في موقعة بئر السبع ، وتطوعت في الجيش العربي فأطلقوا سراحي وأرسلوني الى العقبة ولما كنت في القاهرة في طريقي الى العقبة زرت الشيخ فؤاد الخطيب شاعر الثورة العربية في مكتبه في القاهرة فقدم لي ديوانه المطبوع في القاهرة سنة ١٣٢٨هـ فتصفحته ووصلت الى بيت هزني جاء في قصيدة يخاطب بها حسين جاهد بك صاحب جريدة «اقدام» التركية .

وان أردت بقوم فتنة عمما لاترهف السيف لكن ارهف القلما

فأخذت القلم وكتبت ما يأتي :

هذا هو الشعر الذي يذكي الحماسة في البلاد

والشعر يلعب بالنهى ان كان مصدره الفؤاد

وبينما نحن في حديث هذين البيتين دخل شاعر النيل حافظ ابراهيم فقدمني الشيخ فؤاد اليه واراه البيتين وتصادقنا منذ تلك الساعة وبقينا أصدقاء الى أن توفاه الله .

راعي البريـد

تأخر علي بريد بيروت وأخذت عددا من جريدة الحياة بعد مرور بضعة ايام من صدوره حيث أخذت العدد المؤرخ في ١٩٥١/٦/٥ في ١٩٥١/٦/١٠ أي بعد خمسة أيام من صدوره وعدد جريدة الصباح اذا وصل في المساء يفقد مزيته فقلت وارسلتها الى مدير البرق والبريد العام السيد جلال زريق :

جـلال الدين يا راعـي البريد ... وعمـدة عصبـة الرأي السديد
انـحـن بعصـر رادار وراد ... تُرى أم نحن في عصر الرشيـد
لنأخـذ صحف لبنـان عليهـا ... مضى الاسبوع من قبل الورود
على ظهر السـلاحف قـد أتتنا ... أم العـربـات جاءت بالطـرود
ومن بـيرت صـاحِ الى دمشق ... مسافـة ساعـة بعـد الحـدود
وصحف الصبح ان وصلت مساء ... أضاعـت ميزة الخبـر المفيـد
فمـرْ حـالاً بتفتيش وبحـث ... عن الاسبـاب في عـزم أكيـد
وعاقب مـن تسبب دون عطـف ... وخذ بالحـزم والرأي السديـد
لتصلح شأن دائرة عـليهـا ... صـلاح الحال في العهد الجديد

انهض بالعروبة

قلت وقد انشدتها لجلالة الملك عبد العزيز آل سعود يوم زيارتنا له في روضة التنهات في نجد عام ١٩٤٤ لافتا نظره لاعادة الخط الحديدي الحجازي :

أيا عبد العزيز فدتك نفسي ... تفضل واستمع مني قصيدي
من الشام العزيزة حيث أسعى ... الى مغنى علاك بذا القصيد
فكم ميل قطعنا بالصحاري ... « وبالدهنا » وفي رمل «النفود»
وكم سيارة فيها طوينا ... فيافي بعد حَزن بعد بيد
وكم من بلدة فيها مررنا ... كلمح البرق في قطر الحديد
وفي وطن العروبة كم قطعنا ... دويلات ملفقة الحدود
الى أن وفق المولى وصرنا ... بدوحة صاحب الظل المديد
نزلنا في حماك فما وجدنا ... سوى الالطاف تمنح للوفود
وبتنا في حماك فما رأينا ... سوى الانعام من كرم وجود
سبحنا في الخيال وقد رجعنا ... بما نلقى الى دنيا الجدود
وأرجو الله أن تحيا سعيدا ... طويل العمر أكثر من لبيد
لتنهض بالعروبة من عثار ... به كادت تزول من الوجود
بعزم ثابت يبني اتحادا ... متينا للعروبة من جديد
فتجمع شملنا برا وبحرا ... وترجعنا الى عهد الوليد
وتسبق كل ما صنعوا بأمر ... تعيد لنا به الخط الحديدي
فلا زالت بك الايام تزهو ... وملكك دام في عز مجيد

ذو الوجهـين

بعد رجوعي من عمان التزمت داري ولم أخرج الى الأسواق خوفا من الحالة التي كانت تسيطر على البـلاد أيام خروج (الفيشيين ودخول الديكوليين) الى دمشق وكانت دمشق في ذلك التاريخ لم تزل تحت الانتداب الافرنسي:

سئمت من الدنيا فطلقت أهلهـا ... ثلاثا وهل مثلي يلام على الزهـد
زهدت بكل الناس حتى برفقتي ... الذين قضوا في صحبتي العمر في رغد
ولما رماني الدهر ، والدهر قلّب ... فررت الى عمان خوف الأذى المُردي
قضيت بها عامـين وحدي مشتتا ... سلا فيهما صحبي ولم يذكروا عهدي
فلم يسألوا عني ولا عن صداقتي ... ولي ألف خل في العراق وفي نجد
وعشت فريدا مبعدا عـن أحبتي ... وهل في الورى شيء أمر من البعد
فعدت وعاد الناس من كل جانب ... خصوصا صحابي يخلصون صفا الود
فلا كان هذا الود بعد الذي جرى ... وصحبة ذي الوجهين ماذا ترى تجدي
واني سأبقى ما حييت بوحـدتي ... أعيش سعيدا سالما مفردا وحدي

انظروا للحق لا للزبد

ناظم الرحبي شاب في اول عمره تعين موظفا في مصلحة الانتاج الزراعي في احدى القرى التابعة لقضاء دوما أخرج من وظيفته لأنه رافق فتاة في الطريق العام ومع انه ليس في سيرهما أي غضاضة فقد (هاش) ناموس أهل القرية حسب العادات المتبعة ودفعهم ذلك الى تقديم مضبطة بحقه كانت نتيجتها طرده من الوظيفة وقطع رزقه لأنه مشى مع سيدة سافرة في الطريق بدلا من نقله الى قرية أخرى. طردوه من الوظيفة ارضاء لأصحاب المضبطة فراجعت مدير مالية دمشق صديقي السيد عوني السقطي بخصوصه فوعدني بارجاعه وتذكيرا له بوعده ارسلت له القصيدة التالية :

ان لم تكن أنت عوني يا ابن مدرستي ... من ذا يكون اذاً عوني بذا البلد
« فناظم الرحبي » طارت وظيفته ... بغير ما سبب للّوم والفند
لا باق مالا ولا ضر الخزينة ، لا ... ولا استغل نفوذ الرفقة الجدد
ولا تناول يوما رشوة أبدا ... ولا تناول فلسا من يدي أحد
لا سل بيض ولا رطلين من لبن ... أو مد (كشك) ولا رطلاً من (الزبد)
لكنما ذنبه قد كان وا أسفي ... روح الشباب التي تدعو الى السفد
فهل ترى أحدا في عز نشأته ... منا تسامى عن العادات يا ولدي
لاتقطع الرزق بالرحمن يا رجلاً ... عن أسرة مالها الاّك من سند
ومر بارجاعه نقلا الى عمل ... يكسبك خير ثواب الواحد الاحد
وشكر اسرته مع شكر مرسلها ... وانظر بعين النهى للحق لا الزبد

وبناء على توسطي بهذه القصيدة أعاده الى الوظيفة وأبعده عن القرية التي طغى أهلها .

سَلِمَ الرشيد

في شباط عام ١٩٣٣ أصاب صديقي رشيد بك نخلة داء السكر ووجع في رجله قضي عليها بالبتر فبتروها في مستشفى ربيز والله أنقذه فقلت هذه القصيدة وأرسلتها الى ولده أمين بك :

قل للأمين بن الرشيد ... اياك والحزن الشديد
جَلْدا عرفتك والخطو ... ب يُذلها الرجل الجليد
أنا لا ألومك ان عراك ... الشجو والخطب العنيد
جزع الوحيد على أبيـ ... ـه يحسه الولد الوحيد(١)
قلبي تقطر لوعة ... مع أن قلبي من حديد
ان خانني قلبي فكيـ ... ـف بقلب ذياك الوليد
أمّا وقد وقع القضا ، ... فاصبر فروعك لايفيد
حقُّ الأبوة صنته ... وبررت والمولى شهيد
وعملت أحسن ما يكو ... ن عليك من عمل مجيد
لم تبق أي زيادة ... فيما أتيت لمستزيد
لاكان عضو" فاسد ... في بتره سلم الرشيد

---

(١) أمين نخلة وحيد والديه ، وأنا كذلك وحيد الوالدين .

ويـل للبـلاد

كان المجلس النيابي سنة ١٩٤٨ قد رفض التصديق على المعهد الموسيقي. فاستقلت من النيابة بعد الغاء الاعتماد وسكر المعهد ابوابه واودعت مفروشاته في المدارس وتبدلت الوزارة مرات ولم اتمكن من اقناع احد وزراء المعارف الذين أتوا بعد ذلك لتقديم مشروع باعادة المعهد حتى كدت أن أيأس فقلت بعد ان راجعت وزير المعارف ميشيل عفلق ولم يساعدني :

اذا الجهـلاء من نواب قومي ... عصوا قولي وما فهموا مرادي
بانشا معهـد للفن يُحيـي ... تراث جدودنـا بـين العبـاد
عذرتهمو على مضض مـرير ... هداهـم ربنـا سبل الرشاد
ولكن أي عـذر ليت شعري ... لأهل العـلم أربـاب السداد
اذا ظـلوا كغيرهمو حيـارى ... وما عمـلوا لاصلاح الفساد
فويل للـوزارة مـع ذويهـا ... وويـل للمعـارف والبـلاد

الرسـم خـير هديـة

يقولـون ان الرسم خير هـدية ... يقدمها الأصحاب في القرب والبعد
فقلت نعم ان كان في الوجه نضرة ... ويُكره ان كان المصوَّرُ كالقرد

أسرع يا رشدي بالوعد

وعدني رشدي بك الكيخيا لما كان رئيسا للمجلس النيابي بمساعدتي بفتح المعهد الموسيقي وقرب انتهاء دورة المجلس فارسلت اليه هذه الابيات راجيا الاسراع في العمل :

أتسم لي وعدك يا رشدي ... ولك الشكران مع الحمد
وأظن اني في الأمس ... أفهمت (جنابكم) قصدي
والقصد استعجال الامر ... بالعلن الظاهر لا السر
فعلى ربي حسن الاجر ... وعليكم اتمام الوعد
كي نفتح معهدنا حالا ... ونريح بفضلكم البالا
ونسيِّر فيه الامثالا ... ونسير به نحو المجد
والمجلس دورته كادت ... تمضي والفوضى قد سادت
في الدنيا لكن ان زادت ... حركات الصين أو الهند
فتؤثر في الوضع الحاضر ... واذا الامر عكس الخاطر
فنعود جديدا (يا شاطر) ... للأخذ بذلك والرد
وسوى هذا ما من سبب ... يدعو للسرعة في الطلب
فأنلني غاية مطّلبي ... لأشيد بذكرك يارشدي

غـور الكبـد

في ١٩١٩ دعا الأمير محمد الفاعور الأمير فيصل بن الحسين الى داره في قرية واسط وكنت بمعيته بوظيفة ضابط الأمر وهي وظيفة خاصة في الحرب يبلغ صاحبها أوامر القائد العام الشفاهية الى القواد ورؤساء الجيش وبينما كنا نتحدث خارج الصالون الجالس فيه الامير مع بعض الرفاق اتى الطبيب أحمد قدري وقال هل بلغكم خبر اراضي غور الكبد قلنا لا ، قال ان رئيس الديوان قدم يوم الجمعة الى الأمير بين الاوراق المستعجلة اوراق وقف أبي عبيدة الجراح وهذا الوقف يشمل أراضي غور الكبد المعروف اليـوم وهي ارض تقرب مساحتها من مائة الف دونم أقام بعض الفلاحين الدعوى على شركة ألفها أحد أبناء الغندور في بيروت مع بعض الحكام في دمشق ، وكانت شرقي الاردن محافظة تابعة لحكومة سورية والدعوى أن شركة الغندور استأجرت جميع غور الكبد ومساحته مائة الف دونم من أحفاد أبي عبيدة بمبلغ ثلاثمائة مد حنطة وخمسمائة مد شعير في العام الى مدة تسع وتسعين سنة فأقام بعض أبناء عم البائعين دعوى في المحكمة الشرعية البدائية ففسخت المحكمـة الايجار فجددته الشركة بزيادة الايجار فجعلته خمسمائة مد حنطة وألف مد شعير فاستأنف المدعون ففسخت المحكمة الاستئنافية الحكـم فجددت الشركة الاستئجار وزادت الايجار فجعلته سبعمائة وخمسين مـد حنطـة وألفي مد شعير في العـام فميز المدعون وفسخت محكمة التمييز الحـكم فجعلت الشركة المبلغ ألف مد حنطة وثلاثة آلاف مد شعير في العام وعلى هذا صدقت الأوقاف هذا الايجار وصدقت جميع دوائر الحكومـة ذات الاختصاص على هذا العقد وادخل رئيس ديوان البلاط المعاملة للتصديق مع الأوراق المستعجلة يوم الجمعة والأمير متهيء للذهاب الى جامع بني امية لقضاء صلاة الجمعة في المسجد الأموي فوقع الاوراق التي قدمت له ووقع على معاملة الغندور دون أن يقرأها ، وعلى هذا البناء تم العقد ولم يعد أحد يقدر على فسخه ، وكان الشركاء الذين ضمتهم هذه الشركة كثيرين ، وبعد ان انهى الطبيب أحمد قدري هذه الحادثة قلت له ان لهذا الوقف قصة غريبة وهي أن أرض غور الكبد كانت مطلوبة للاستعمار لجعلهـا مستعمرة للصهيونيين أيـام السلطان عبـد الحميد فوقف في وجه اليهود المرحوم

شكري بك العسلي وكـان قائمقاما ولم يترك للصهيونيين يداً لاستعمـارها رغم الضغط الذي كان يأتي من الاستانة ومـن الولاية ثم أراد الصهيونيون أخذ أرض الغور المذكور للاستثمار فوقف قائمقام تركي جاء الي القضاء المذكور بعد شكري بك العسلي بوجه الصهيونيين ولم يمكنهم من استثمار الارض المذكورة وهذه المرة جاءت شركـة أخبث من اليهود وهي شركـة الغندور المذكورة وأخذت الغور بطريق الاستئجار وهذا الاستئجار جاء عن طريق الاستحمار فضحكنا وركض الطبيب الى الأمير فيصل وما كاد يغيب حتى أتاني عبد من عبيد الأمير يقول (هيّا كلِّم سيدنا) فذهبت مسرعا واذا بالأمير واقف مع الطبيب أحمد قدري ورئيس الديوان يضحكون من النكتة فوصلت وبعد اداء التحية العسكرية قال الأمير اخبرني عن قصة أراضي الغور قلت أي قصـة قال التي حدثت الطبيب أحمد قدري عنهـا قلت ياسيدي سامحني اننا نمزح قال بحياتي عليك ألا أخبرتني : قلت : ان قصة هذا الوقف ان الوكالة اليهودية كانت تطلب استعمارا فلما لم تتوفق أرادوا أخذها استئجارا ولما لم تتوفق أيضا جاءت شركة الغندور فأخذتها استئجارا ولكن هذا الاستئجار جاء عن طريق الاستحمار فضحك الأمير والتفت الى رئيس الديوان وقبض على لحيته وقال أي والله استحمروا هذه اللحية ونظرت الى رئيس الديوان فرأيت وجهه كاد ان ينفطر من صعود الدم اليه ثم التفت الأمير الي وقال « بحياتي عليك » انظم قصيدة اذكر فيها حكاية غور الكبد وأهج بها الشركة ورئيس الديوان :

فأطعت الأمر ونظمت القصيدة الآتية وما كدنا نصل الى دمشق حتى انتهى نظم القصيدة ولما نزلنا من السيارات قال لي الأمير أين القصيدة قلت هاهي قد انتهت قال بيضها حالا : وكنا في الساعة الخامسة مـن اليوم التاسع والعشرين من شهر شعبان الموافق ١٩١٩م فبيضت القصيدة وما كدت أتممها حتى طلبني الأمير فدخلت الى الصالون واذا به غاص بكبار رجال الدولة والحاشية والى جانبه الأمير زيد بن الحسين والأمير علي بن ناصر واللواء ياسين الهاشمي وغيرهم من رجال القصر فقال أين القصيدة ، قلت هذه فقال اقرأ فقرأتها وضحكوا .

وأمر أن يكتب منها نسخ عديدة وتوزع على دوائر الحكومة ففعلوا وكانت حديث دمشق طيلة أيام شهر رمضان وأصدر ارادة مطاعة (١) بفسخ معاملة الايجار والقصيدة هي :

---

(١) كان السلطان عبد الحميد يصدر أمراً يسمونه « الارادة السنية » فقلده اشراف مكة وسموا أوامرهم ارادة مطاعة .

لاتسلني اليوم عن غور الكبد ... انه أحرق قلبي والكبدْ
هي أرض لست أدري سرها ... حادثات الدهر فيها تستجدْ
كلما ندفع عن حوزتها ... مستبداً قام فيها مستبد
وغدا الجراح في مرقده ... غضبا مما أتوه يرتعد
كتب الله على أطرافها ... خفف الوطء قليلا واتئد
هي كالاجرب من يقربها ... غير نقع السُّم فيها لم يجد
آل صهيون أرادوا سلبها ... في زمان الترك لكن لم يفد
وأتى من بعدهم أمثالهم ... كلهم يطلب صيدا ان يجد
(شركة الغندور) جاءت خلفها ... رجل أخبث من ذئب حَرِدْ
راح يسعى جاهدا في سلبها ... من بني الجراح في ذا يجتهد
ان يكن كبش الليالي ويحه ... رام منها لقمة أن يزدرد
وجرى من خلفه أقرانه ... كلهم يأخذ نهبا ما يجد
فالى من تشتكي اطماعهم ... وعلى من بعد هذا نعتمد
لو درى الجراح يوم وقفه ... طمع الحكام في غور الكبد
لم يقف أرضا على أحفاده ... واختصى يومئذ كي لا يلد

ديـر معلـولا

ذهبنا الى معلولا في ١٩٣٨/٤/١٨ لتوزيع الاعانات على منكوبي السيول فيها ووصلنا ليلا متأخرين وذهبنا الى الدير عنـد الأب كيرلس رئيس دير معلولا المزمن صديقي وصديق والدي وكان البرد شديدا لا يحتمل والدير مغلقا فطرقنا الباب حتى كل متننا وعوى كلب الدير عواء شديدا وبعد نصف ساعة تقريبا سمعوا طرق الباب ففتحوا وكنت نظمت الابيات الآتية ونحن على الباب ولما دخلنا واسترحنا في صالون الدير كتبت الابيات في دفتر زيارات الدير وهي :

يا صاحب الدير ان الصحب قد بردوا ... أمام بابك والحراس قـد رقـدوا

فانهض بحقك وانقذنا على عجـل ... حيث الفرائص والاجساد ترتعـد

فالكلب (جرصنا) والريح أزعجنا ... والصحب من برد معلولا كُمُ جمدوا

والليـل أوحشنا والجوع أتلفنـا ... يا ويحـه بـلداً ما مثـله بـلد

والوعي فارقنا والوحل (عترنا) ... حتى يئسنا وضل الهـدى والرشد

ومن لنا غير « كيرلُسْ » يخلّصنا ... فغـير « كيرلُسٍ » لايرتجى أحد

وهذا القس اليوناني كان الطف من عرفتهم من الرهبان في حياتي وهو سخي اليد كريم النفس بشوش الوجه لم أره في حياتي الا ضاحكا وقد قضينا عنده سهرة لطيفة وبتنا ليلتنا في الدير وفي اليوم الثاني ودعته بعد أن قدمنا للدير هدية لطيفة ثمينة .

عظم الله أجركم

بعد استلام الكتلة الوطنية الحكم من الافرنسيين لم يساعدها الزمن على السرعة بالاصلاح فاضطرت الى غض النظر عن أعوان الانتداب بل جعلت تستعين بهم وأهملت شأن الوطنيين الذين قاوموا الافرنسيين وهذا من أكبر اخطاء الكتلة وهو الذي أوصل البلاد الى ما وصلت اليه من سوء الادارة يومذاك ، وقد قدمت لسعد الله الجابري رئيس الكتلة الوطنية واخوانه البارزين فيها عدة تقارير لاصلاح الكتلة والانتباه لما يقع من الاخطاء واصلاحها فلم ينتبه أحد الى ما كنت أكتبه وسأنشر تلك التقارير في مذكراتي ليرجع اليها من شاء وذلك في ٥ كانون الاول سنة ١٩٣٧ وقد قلت :

علام النوم والايام تمضي ... وبيت الشعب مضطرب العماد
علام النوم والاحوال فوضى ... وسيف الدس يفتك في العباد
علام النوم والاخصام أضحت ... جميع جهودها بث الفساد
علام النوم والتدجيل يسري ... مسير الكهرباء بكل ناد
أنادي الصحب من قلب كليم ... أحذرهم ولكن من أنادي
لقد ناديت حتى بحّ صوتي ... وحتى قيل يا ويح المنادي
أ ايقاظاً أنادي أم رقودا ... أم الاموات أم حجر الجماد
أسعد الله ان تبقوا سكارى ... بخمر الوهم غالكم الاعادي
وضاع الامر من يدكم وعدنا ... كما كنا بعهد الاضطهاد
ومن والوكموا بالامس ليسوا ... لكم شرا من القعُد الحراد

وليس الخير فيمن قد أقاموا ... على ذل بأيام الطراد
فهبوا واحزموا وامضوا سريعا ... بعزم صادق نحو الرشاد
وولوا الأمر من عُرفوا وكانوا ... بيوم النقع أرباب الجلاد
والا رحمة المولى علينا ... وعَظَّم أجركم في ذي البلاد

لاتكن عون الزمان

عاد خليل معتوق من باريس وانا منزو في قرية الجربا لاسباب اضطرارية وارسلت له هذه القصيدة ولما أخذ الكتاب جاء وجاء معه الاخوان رضا شربجي وابراهيم نصري واديب الصفدي وغيرهم من الشلة وقضينا يوما لطيفا في الجربا :

كم كنت أرغب أن أزورك بعدما ... ان عدت من باريز يا (فرفور)
لكنّ عذرا عاقني فتفضلوا ... اتتم الينا والكريم يزور
مادمتَ معتوقا لامرك مالكا ... وأنا طليقٌ للظروف أسير
جار الزمان على أخيك فلا تكن ... عون الزمان تجور حيث يجور
هيا الى الجربا لنقضي برهة ... فيها لنا رغم الهموم سرور
واصحب من الاخوان من كانت له ... روح أخف من النسيم تطير
ولديّ أنواع اللحوم كثيرة ... ضأن ، دجاج ، ماعز ، وطيور
والسمن واللبن المروّب عندنا ... صاف وليس له لديك نظير

والعـود والقانون عندي حاضر (والكيلخان[1]) هنا وعندي(نور[2])
من ثم شادٍ شادن" في صـوته وبفنـه في قطرنـا مشهـور
واحمل خمورك حيث خمرك جيد والنقل عنـدي يا خليـل كثـير
وبذاك يصبح عندنـا ما نشتهي المأكول والمشـروب والمنظـور
هجم الربيـع بجيشه وجنـوده احتلت روابي المـرج وهي زهور
ما خاب قوم في الربيع تشاركوا في نزهـة فيها الكؤوس تـدور
مـا فـاز باللـذات الاجاسـر اما الألى كرهوا الطلى فحمـير

رأيت طفلاً جميلاً يمشط شعره فقلت :

نظـرت اليه وهو يمشط شعره بمشط كهدب العين أسنانه صغرى
ومن طول ما أمعنت فيه نواظري تراخت وعادت من سوالفه حسرى
وعهدي كانت في عيوني شجاعة ولكن جمال الشعر قد ردها قسرا

(١) الكيلخان : لقب عازف الناي تحسين بك اليوقلجي .
(٢) نور : قينة من أشهر قيان دمشق وأجملها في زمنها .

لا أبغـي الطـلاق

وقلت وقد ارسلت بهذه الابيات الى مجلة العروس بعد أن جاءني كتاب من ادارة المجلة مع عدد منها .

حضرة الفاضل أعزك الله :

نرسل اليك هذا العدد حتى اذا تكرمت أن نعدك مشتركا ومن جملة مناصرينا الادباء معززي الصحافة النسائية واصلنا ارسال الاعداد الباقية شاكرين وهو أول عدد من العام الجديد ، اما اذا لم ترغب ذلك فبرده نعلم رغبتك ولك الشكر على كل حال وحفظك الله :

ادارة مجلة العروس

واليك الابيات وقد نشرت في أحد أعداد السنة الثانية من العروس :

وصلت عروسـكم تجر ذيولهـا ... تيهـا على الغـادات في الامصار

فهي الفـريدة ان طلبت محاسنا ... وبتيههـا تاهت أولو الافكـار

ملكت برقتهـا القلوب وحسنها ... بالشمس قـد أزرى وبالاقمـار

وهي الغنيـة ان طمعت (بدوطة) ... جمعت صحائفها عقـود دراري

اني عشقت عروسـكم وقبلتهـا ... ورغبت فيهـا أن تكون بداري

والمهـر مهمـا كان أدفعـه ولا ... أبغي الطلاق ولو خسرت عقاري

فليفتخر أهـل الشآم جميعهـم ... بعروسكم ولتحيَ دوما (ماري[1])

---

(١) هي ماري العجمي ، صاحبة مجلة (العروس) .

الـدهر لايـدري

صبرت على الاحداث حتى تحيرت ... عقول ذوي الالباب والله من صبري
ولست أذم الدهر فالدهر دائماً ... من الازل الماضي بلا وقفة يجري
صبـاح وامساء ، نهار وليـلة ... سنين وأيـام تمـر بلا حصـر
ولكن أبنـاء الزمـان لجهلهـم ... يذمون هذا الدهر والدهر لايدري
وكان عليهم أن يذمـوا نفوسهم ... اليهم ومنهم ما نراه مـن الشـر

لاخلـود لحـي

أهداني زكي قنصل كتاب مراثي ابنته عنـوانه (سعاد) ، رثى فيـه وحيدته بقصائد عديدة واصدر الكتاب بمناسبة مرور عام على وفاة طفلته التي قضت في الشهر الثامن مـن عمرها ولم يلتئم جرحه في هذا العـام وظهر مقـدار تأثره وحـزنه ولوعته من هذا المصاب في جميـع قصائـده فكتبت لـه هذا الجواب :

عـزاء ولـو أن العـزاء بعيـد ... وصبرا ولو أن المصاب شـديد
وحزن الفتى مهما تعـاظم وقعـه ... له عند أربـاب العقول حـدود
اذا صعدت روح الوليدة للسمـا ... فما ينبغي للرب منـك جحـود
فلو ان بالامكان ارجاع زهـرة ... طوتهـا العوادي والبكاء يفيـد
فأكثر من الاشعار والحزن والبكا ... لعـل سعـاداً يا زكيُّ تعـود
والا فخفف من شجونك واتئـد ... فليس لحيٍّ في الزمـان خـلود

كـوخ الندامى

دعاني مصطفى وهبي التل يوما الى كـوخ أسموه كوخ الندامى وهـو معروف في عمان لدى طبقة معينة من اصدقاء مصطفى وجميعهم مـن الطبقة المتوسطة المعروفة (بالزكرت) وهذا الكوخ عبارة عن عقد من حجر يسكنه أبو كاسم الجوبراني من أهل دمشق شبه مغارة مقطوع بحائط مـن خشب عن الدكان وفي الداخل تختية عليها حصير قديم ولما دخلت كان هنالك صاحب الدكان ابـو كاسم الجوبراني ومغن اسمـه داود وبعض الرجال وجلسنا هناك الى ما بعد منتصف الليل يطربنا أبو كاسم بطنبوره ومصطفى وهبه بأشعاره وقد خرجت من الكوخ وأنا بسرور زائد وكانت العادة في ان كل من حضر من الزوار يأتي بمشروبه في زجاجة وهناك كأس واحدة فيبدأ الحضور بالشرب وكلما فرغت زجاجة يشربون الثانية الى ان ينتهي الجماعة من جميع ماأحضروه ، فقلت :

أطل علينـا الصبح من كوة الفجر ... ونحن بوادي (السير) مع مغرب البدر
نشاوى بحيث الراح راحت بعقلنا ... فصرنا ندير القـول هرفا بلا فكر
قضينا سواد الليل والشَّرب نخبة ... كرام من الشعب البسيط ذوي الفقر
بكوخ هو الباقي بعمـان وحده ... بنـاء قديم سار في صحبة الدهر
على نغم الطنبـور نطرب آنـة ... ويطربنا داود من غـير ما زمـر
ظللت مع الندمان في خير عشرة ... ورغم ظلام الكوخ منشرح الصدر
يدير علينا الكأس والكأس واحد ... ابو (كاسمٍ) والراح في الكأس كالتبر
ينير شعاع الكأس أرجاء كوخنا ... انـارة آمـال المبشـر باليسـر
ومن مصطفى وهبي خلعنا عذارنا ... بما أنشد (المفزور) من طيب الشعر
ومازلت والاصحاب نحسو وننتشي ... الى ان سمعنا خارجا سجعة القُمْري
خرجت كما الفرزان أمشي تهاديا ... بمنعرج الوادي الى حيث لاأدري
فيا سهرة الوادي أهل لك عودة ... فما كنت أنسى ذكر انسك في عمري
اذا افتخر (المثري) بروعة قصره ... بكوخ الندامى اليوم يامصطفى (فخري)

منـكر ونكـير

كان الامير عبد الله بن الحسين سنة ١٩٣٩ أيام التجأت الى عمان بعد مافررت من الافرنسيين وقد توج فيما بعد ملكا على الاردن طلب مني أن أزوره يوميا في المقر وان اتناول الطعام معه دائما فاعتذرت وكرر وكررت الاعتـذار وأصر ، فقبلت أن أزوره مرة في كل اسبوع وقـد عاتبني بعض الاصدقاء لعدم اجابة الأمير بالزيارة يوميا فقلت :

قالوا الامير يحب انـك دائمـا ... تسعى اليـه وانت عنـه نفـور
فأجبتهـم اني فُتنت بشخصـه ... وبيـانـه وأنـا لديـه أسـير
وأحب أن أبقى الحيـاة بقربـه ... وأجـله والقـرب منـه سرور
لكنـه صعب المـراس وخلقـه ... مـع لطفـه عند الهيـاج عسير
ولذاك أخشـى غضبـة مضرية ... تهتـاج كامـن غيظـه فيثـور
ويكـون غـيري باعثا لهياجهـا ... فيصيب رأسـي رشهـا فيطـير
قالـوا رويـدك انه في قومنـا ... بالحـلم والخلق النبيـل شهـير
فأجبتهـم انـي عرفت خصالـه ... والقول فيهـا ما أطلت قصـير
ورحـابه نعـم الرحـاب وانما ... عـن جانبيهـا منـكر ونكـير
وبرغم فطنتـه وسرعة حدسـه ... روح الدسائس في المقـر تدور
سوق السعـاية رائج في بـابه ... والحـر بـين المفسدين كسـير
ان الأمـير وان سمـا بطباعـه ... خطـأ المعيـة فـي عـلاه يضير
وأخاف بادرة يضيـق بحملهـا ... صدري يشب لها دمـي فيفـور

يأتي بها أحد الحواشي مرة ... وأنا على الشرف الرفيع غيور
اني عزيز النفس أحفظ مركزي ... ماضي اللسان وأين منه جرير
فاذا رميت المفسدين بأسهمي ... ماذا ترى من بعد ذاك يصير
واذا هجوت منافقا لنفاقه ... أشقى ومالي ان سكت عذير
ولذاك أضحت للامير زيارتي ... غبا ولكن ما دُعيت أزور

جاء النذير

كان المرحوم الشيخ فؤاد الخطيب يخاف من الشيب ويتأثر جدا ممن يصارحه بحقيقة عمره ، جلسنا مرة ونظر بالمرآة فتأوه من الشيب الذي ظهر وبان تأثره ، فقلت : علام التأثر ؟ فقال : جاء النذير ، فقلت :

يريد الشيخ أن يبقى فتيا ... ودولاب الزمان به يدور
رأى شيبا يلوح بعارضيه ... فكاد لحزنه فرقا يطير
فقلت علام خوفك قال دعني ... فاني كدت من جزعي أخور
ألم تر شيب رأسي بازدياد ... فمذ ظهر البياض مضى السرور
لان الشيب مفتاح المنايا ... وبعد الشيب شر مستطير
وقال الله عز وجل قولا ... بآي الذكر جاءكم النذير

ساعـده تكسب أجـره

عارف الحسين شاب من الوطنيين الحلبيين الذين جاهدوا في الحركة الوطنية ضد الافرنسيين داخل المدارس وخارجها وتحمل كثيرا من العذاب حتى نال البكالوريا ولأجل اتمام تحصيله في اوربا ليحوز الدكتوراه راجع وزارة المعارف فكان عمال الافرنسيين يعاكسونه ولما تولى المرحوم سعد الله الجابري رئاسة الوزارة طلب مني عارف الحسين التوسط له عنده ليساعده فنظمت هذه الابيات وقدمتهـا لسعد الله فعمل جهـده حتى سافر عارف الحسين الى فرنسا وحاز على الدكتوراه والابيات هي :

حنانيك سعد الله واسمع لصاحب ... نداء محب لم يخاتل مـدى العمر

نصوح حريص مخلص في وداده ... لاصحابه الاخيار في السر والجهر

يُقـدم في هذه القصيدة طالبا ... جريئا نزيهـا طيب الفعل والذكر

عليـه قضى دهر غشوم بظلمـه ... وكم ذا يسيء الدهر ياسعد للحر

بعثـت بـه للجـابري مؤمـلا ... عساه بطيب الفعل يجبر للكسـر

فيشكو اليكم ما يلاقي بدهـره ... بمدرسـة التجهيز من شدة العسر

فكم مرة جازوه بالطـرد ويحهم ... وكم مرة ساقوه للسجن والاسر

لخدمته الاوطـان في كل موقف عصيب ولما يبلغ الحلم في العمر
وبالرغم من هذا فقد ظل دائمـا على مبدأ الاحرار يعمـل بالجهر
ولم يخش تعذيبا ولا خاف (فلقة) ولا هاب سجنا أو توحش من أمر
وما زال يسعى كي يتم عـلومه بمدرسة تنجيـه مـن آفة الفقر
وفي العلم للتلميـذ درب معبـد اذا سار فيه جاهدا عـاد بالفخر
فساعده واكسب أجره مع محبتي فلست بناسي الفضل ياسعد في عمري

الدهـور تدور

قلت في طبريا في ١٤ ذي الحجة سنة ١٣٣٣ حيث غضب علي قـائد اللواء ٨٠ ونحن في بلدة الناصـرة فأمر بجمع جميع الجربانين من جنـود اللواء وشكل منهم مفرزة أرسلني قائدا عليها الى طبريا لمعالجتهم في مياهها المعدنية فقلت :

سألزم نفسي الصبر مهما تقلبت صحائف دهري والزمـان يدور
وارضى بما ألقى وان كان قاسيا فقـل لزمـاني ما أحب يجـور
فمهلا اذاً يا نفس بضعـة أشهـر فتظهر من بعـد الامور أمـور
فأرغم دهري أن يُقبِّـل راحتي ويشهـد اني عـاقل وصبـور

رسالة من طور سيناء

وقلت وقد أرسلتها قصيدة بدلاء من كتاب الى صديقي بكري أفندي الهبل من بئر المغارة من طور سيناء في ٢٧ كانون الاول سنة ١٩١٦ أصف فيها حالتي وكنت ضابطا مفرزا مع سبعين نفرا للمحافظة على بئر المغارة وهو جبل فيه سبع آبار في الصحراء في طور سيناء :

أخي العزيز سلام يا أبا بكر ... أريجه طيِّب عطر على عطر
من بعد سؤلي مع استفسار خاطركم ... أبدي لحضرتكم ما كان من أمري
سافرت عنكم وقد خلفت عندكم ... قلبي وروحي فرفقا فيهما بكري
ورحت أمشي بأرض لاحياة بها ... رمل جبال وفي الوديان والوعر
في طور سينا بارض التيه ليت أبي ... لم يأت أمي ولم أخلق بذا العصر

الحر والبرد

أقضي نهاري بحر عشره سقر ... عند القياس فيا ويلي من العَشْر
هذا ونحن بكانون فكيف بنا ... ان حل تموز في وقد من الجمر
والبرد في الليل بالرحمن منه فعذ ... ما ذا أقول به والله لا أدري؟!..

الذباب

أما الذباب طفيليٌّ يطاردني ... مهما جريت أمامي دائما يجري
فان شربت طفا بالكأس وهو اذا ... طبخت شيئا لنفسي غاص في القدر

فظ غليظ فـلا يبقى بلا وخـم ... يخرى هنا وهنا حتى على عمري!
وعند قيـلولتي يأتي يداعبنـي ... بالطن والرن والتصويت كالزمر
حول العيون وفي الآماق مرتعـه ... عند الهجوع وحول الأنف والثغر
فان سهوت نهـارا راح يلسعني ... وان صحوت بـدا بالكرّ والفرّ
يكيدني عنـدما يبدا يفرّك في ... يديه مثل عـدوٍ سـرّه قهـري
وان مشى فوق جسمي يقشعر له ... جلدي وعظمي اذا يمشي على الشعر
وهكـذا عملي طول النهار بـه ... يبقى عشيريَ منذ الفجر للعصر
ينام في الليل خوف البرد من تعب ... لكن يقوم لتعذيبي مـن الفجـر

القمل والصئبان

والقمـل عشش أكواما بألبستي ... جسمي غدا ياأخي من قرصه (مهري)
يدب مثل دبيب الشيخ لسعتـه ... كطعنة من فتى بالسُمر في الصدر
صئبـانه في ثنايـا الكم تنظرها ... بل تحت ابطي (هرت ديني) من الحفر
جسمي تشوه من حك الاظافر لو ... فحصتني قلت فيه قرحة (الجدري)

خيمتـي

وخيمتي شبه كوخ فيـه أمتعتي ... أكياس ملأى فمن سود الى صفر
هـذا به عدسي هـذا به بصلي ... هـذا به برغلي هـذا به بُرّي

أما طعامي فلا سمن ولا عسل ... سوى النواشف(١) من كعك ومن تمر

وليس عندي هنا للحم من أثر ... ولم أجد أثرا في القفر للدَّرِّ(٢)

وليس من خضرة عندي ولا رجل ... طاه وليس هنا للحلو(٣) من ذكر

أما غسيلي (فتعفيش أعفشه) ... مع الشنان وتخبيط على الصخر

ولا أرى لقميصي من يرقعه ... ان قُد من قُبل أو قد من دبر

أما الندامى فأخلاط مجمعة ... من الرجال ولا تسأل عن الخمر

خمري همومي وأما النقل من حزني ... هذي حياتي مضت شهرا على شهر

استغفر الله قل لي ان كفرت هنا ... من ذي الحياة أيرضى الله عن كفري

ماذا فعلت لالقى ما وقعت به ... في أول العمر بئس العمر من عمر

خبره عني وقل يارب عبدك قد ... ملَّ الحياة من الاسفار في القفر

وقل له انني آمنت من زمن ... بأنه الواحد القهار في قهري

وانني بعد هذا لم أعد أبدا ... أخاف من ناره أو (عصة) القبر

لانني ذقت أهوالا غدوت بها ... شبه الخيال من التعذيب والحصر

وهذه قصتي حررتها لكم ... فيها كثير مضى والله من فكري

تم الكتاب تحياتي اقدمها ... قبل الختام الى عمي أبي بكر

وألف حمل سلام للجميع ودم ... لحافظ العهد ما بين الورى (فخري)

---

(١) النواشف : يستعملها أهل دمشق للطعام الخفيف مثل الجبن والزيتون والتمر والزبيب الخ...

(٢) الدَّرّ : اللبن .

(٣) والمقصود بالحلو ـ الحلواء .

سئمت عشرة البقر

وقلت وأرسلتها الى صبحي بك قائد اللواء ٧٩ ووكيل قائد الفرقة ٢٧ العثمانية من طبريا وكنت مفرزاً لقيادة الجنود الذين أصيبوا بالجرب أثناء الحرب وذلك في تشرين الاول سنة ١٩١٦ .

تركت صحبي بين الكأس والوتر ... وجئت أركض فوق الصخر والحجر
خلفت أهلي سكارى من تشوقهم ... الى لقائي وصرعي الهم والفكر
في كل يوم أجوب الارض منتقلا ... بين البلاد مع الأنفار كالنوَر
يوما بعكا ويوما بالخليل وفي ... الصحراء يوما ويوما في شفاعَمرِو
لا يلتقي المرء غير الفول يأكله ... مثل الرصاص بطيء الهضم كالجزر
وبرغل ناشف لكن بلا لبن ... هذا طعامي بلا حلو ولا زفر
أما الخيام ونومي بالخيام وما ... لاقيته عبرة من أعظم العبر
عقارب حشرات مالها عدد ... زوابع وغبار (أعمشت) نظري
ماذا أقول وخير القول أقصره ... سئمت عيش الشقا مع عشرة البقر
والنفس حنّت الى أهلي وعائلتي ... وعفت ديني وحق القرد من طفري
فاسمح بحقك يا مولى الكرام وجد ... وأذن بعشرة أيام مع السفر
أروح فيها الى أمي فأحضنها ... وأطبع اللثم فوق الرأس والشعر
وليس لي سند ذا اليوم من رجل ... الاك أنت صبيح الوجه في البشر
قلدتني مننا لم يحصها قلم ... عقود فضل حكت عقدا من الدرر
واسلم ودم ساميا بالعز أوج علا ... رايات مجدك تعليها يد الظفَرِ

الحجاب هــو الطهر

وقلت وقد ألقيتها بحفلة بنات الشهداء في مدرسة نور الفيحاء بحضور الأمير زيد بن الحسين ونخبة من أفاضل السوريين وذلك في السنة الثانية من تأسيسها عام ١٩١٩ ولا يخفى ما كانت عليه عقلية أهل البلدة ونظرتهم الى البنات بعين الاحتقار وكم كان لهذه القصيدة من الوقع حيث هاجمني جميع أهل دمشق ولم يساندني غير نفر قليل من الشبان المثقفين ، وفي ذلك الزمان كان الرجل اذا تكلم عن امرأته أو ابنته يقول عند ذكرها لمخاطبه : ان خادمتك اجلّك الله : طبخت لنا كذا أو اطعمتنا كذا .

قفوا وابعثوا في الدهر نظرة عاقل ... تروا انهذا الدهردوما هو الدهر

وما ذمّه في النــاس الا مغفــل ... جهول ضعيف الرأي ليس له فكر

به الخيروالاسعاد والنحس والشقا ... كمــا انه حــلو كذاك هو المــر

وما الذنب ذنب الدهر فيما أصابنا ... ولكن جهــل الأم كان به الســر

ومن يرض جهل البنت أو يأب علمها ... فليس له عقــل وذاك هو الغــر

عليهــا ترقينــا اذا ما تهــذبت ... ومنهــا تدنينا وفي جهلهــا خسر

أليست فتاة الشرق بالعقل والذكا ... كمثل فتاة الغرب ان محّص الامر

ولكنّ هذي بالجهــالة رُبّيت ... وتلك بعــلم ليس يدركه حصــر

فأصبحتا هذي بجهــل وحــيرة ... تعيش بليــل ما لظلمائــه بــدر

وتلك تغذت بالعــلوم فأصبحت ... ربيبــة فضل ليس ينقصهــا أمر

هي الأم في الحالين والطفل ابنها ... فان لقنتــه الفضل فالسيد الحر

وان لقنته الجهـل والجهـل قاتل ... يمت واذا يحيـا فليس له ذكـر
وليس حجاب البنت يستر وجهها ... حجابا ولكنّ الحجاب هو الطهر
وما الفخر في حَجْبِ البنات وانما ... بصحّة تعليم البنات غـدا الفخر
وما أبدع الفيحاء ان ظل نورهـا ... ينير سبيل البنت وهو لها فجـر
وانعم بغـادات نهضن بعصرنـا ... واعمالهن اليـوم فيهـا لنا بشر
ودمن لنا عونا على الجهـل دائما ... وهن على الأيـام انجمنـا الزهر

بيت الـزجاج

طلب مني وزير المعارف محمد بك كرد علي بكتاب ان اذهب في بعض الاسابيع الى نادي المحاضرات في دار المعلمين لانتقاد المحاضرين ومناقشتهم، فذهبت يوم الخميس وألقيت هذه الأبيات قبل محاضرتي الاولى وذلك يوم الخميس الواقع في ١٧ مارس ١٩٢٣ ووجهت الخطاب لمدير النادي عبدالقادر بك العظم :

مسائل النقد محفوف بها الخطر ... مهما يكن أمرهـا فالعتب منتظر
وناقد الناس مهما جـلّ مقصده ... يجني العـداوة ممن ليس ينتظر
ومن تصبه سهام النقد عاش وفي ... أحشائه مـن بقايا جـرحه أثـر
فهل ترومـون نصبي بينكم هدفا ... الى العداء وما يأتي بـه القـدر
ومن تكن داره بالله مـن خزف ... تُرى أيرضى بأن يُرمى بها حجر
أطلق يديّ ودعني في مسامرتي ... مع الشباب بمجـد العُرب نفتخر
شيخ الشباب أنا والكل أعشقهم ... والحب أجمل ما يحيا به البشـر

تحت المطـر

لما نفتني السلطة الافرنسية الى الحسجه وضعوني بغرفة منفردة ليس في قربها بيت خـلاء ولما كان الموسم شتاء والامطار كثـيرة في الجزيرة ، وكنت اتأذى كثيرامن الامطار التي لم تكد تنقطع حتى تعود الى الهطول في ذلك العام وكانت أكثر أمتعتي حول الغرفة في العراء تحت السماء والارض من تراب ومتى نزل المطـر لايمكن لانسان السـير الا بصعـوبة زائدة ولا يمكن أن يضع الانسان حاجة الا امتلأت طينا وقد تحملت كثيرا من العناء . وفي يوم اشتدت أمطاره ودام المطر اربعا وعشرين ساعة بشدة فلم أقدر أن أحبس نفسي فاضطررت لقضاء الحاجة تحت المطر الشديد وكنت أقضي حاجتي تحت الامطار أحمل بيدي المظلة فقلت :

هـل قرأتم في غريب السيِّر ... أو سمعتـم مـرة في خبـر
عـن كريـم مبعـد معتقـل ... عنـد قـوم من بُناة الحضر
أنـه يخـرج في حـاجتـه ... كـرم السامـع تحت المطـر
(حسجة) كانونها في قـرّه ... زمهـريـر لاذع كالابـر
أحمـد الله بـأني ليس بـي ... مرض الزَّحير أي (ديزنتري)
كم رأيتم مبعـدا في سجنـه ... هل رأيتم واحـدا مثلي بري
لو تراني جاثمـا محدودبـا ... فوق ذاك الوحـل مثل النَّور
فاتحـا (شمسيَّتي[1]) كي أتقي ... خطر الامطـار وقت السحـر
لرأيتم عجبـا مـا مثـله ... عجـب مـا بين كـل البشر
لاتلومـوني على هـذا فـذا ... بعض ظلم الحاكم المستعمـر

(١) الشمسية : عند الشاميين المظلة .

مساجلة
بيني وبين البزم

رأيت (محمد البزم) يفكر فكتبت له بيتا فأجابني عليه وجرت بيننا المناقشة الآتية :

فخري :

أراك كثير الهم منقبض الصدر ... أصابك عشق أم سئمت من العمر

محمد :

أجل قد مللت العمر والعمر ملني ... وشمت من الايام حادثة النكر

فخري :

بحقك خفف من همومك (تتفة) ... فما العمر الا ما يمر من الدهر

وما الهم الا وهم فكر فلا تكن ... أسيرا لاوهام الخيال أو الفكر

محمد :

على انني والله يشهد انني ... أخو همة لاتقتضيني سوى الفخر

فخري :

أخو الفخر من لاييأس العمر انما ... أخو الفخر من قد عاش متسع الصدر

النفع والضر

طلب مني مصطفى أفندي تمر بيتين بذم الكسل ومدح الجد فقلت :

من لازم الجد يجني أحسن الثمر ... من روضة الحزم والعلياء والظفر
وصاحب الكسل المشؤوم طالعه ... يصاحب الذل والبأساء للحُفرِ
فاختر لنفسك أي الحالتين وكن ... ندباً يفرق بين النفع والضرر

* * *

وقلت وأرجو أن تكتب هذه الابيات على شاهدة قبري :

قفوا أيها الزوار قربي هنيهة ... وقولوا سلام أيها الميت الحرّ
وطوفوا حيال القبر صحبي وفكروا ... بموت أكيد ثم يتبعه حشر
تروا ان كأس الموت حق على الورى ... وكل له يوم وان ألّف العمر

* * *

قدم لي فريق من شبان الحقوق قلما ذهبيا يوم انتخابي نائبا في المجلس التأسيسي فقلت وذلك سنة ١٩٢٨ :

هدية شبان الحقوق ثمينة ... سأحفظها ذكرى الى آخر العمر
هو القلم المملوء آمال أمة ... بغير أماني اليعربيين لايجري
وعهدي لكم اني أوقع باسمكم ... به صك ميثاقي وميثاقكم فخري

* * *

غبـار الوقائـع

أشار أحدهم الى شَعْري وقد ظهر فيه آثار الشيب بكثرة وقال ماهذا يافخري أكبرت الى هذا الحد فقلت :

غبـارٌ وقائـعِ الدهر توالت في مـدى العمر
وشيبى مـن تراكمهـا يراه الناس فـي شعري

* * *

حريـة الفكـر

في أواخر سنـة ١٩٢٥ اشتدت الثورة السورية وضـاع صـواب الافرنسيين فلم يعودوا يعرفون مايصنعون ، ولما كنت من الوطنيين المعارضين أرادوا الخلاص مني فسجنوني في قلعة دمشق بغرفـة منفردة تسمى « السيلول » وطال الوقت ولم أقدم للمحاكمة فقلت :

سجنا بلا ذنب فطـال اعتقالنـا وغاية ما في الامر حرية الفكـر
فبئست حياة الحر في السجن موثقاً على حين أن الخائنين أولو الأمر

الى زوجتي

قضيت مع زوجتي رحمها الله اثنتين واربعين سنة بسرور وهناء وقلت هذه الأبيات في عمان في سنة ١٩٣٩ عندما فررت من الافرنسيين حيث قضيت سنة وعشرة أشهر بالتشرد :

ولي زوجة ما في الانام مثالها ... حبتني بعطف لا يضارعه شكري
عشقت بها الاخلاق والود والهنا ... وحسن سجايا الغيد يندر في عصري
قضينا معا عشرين عاما مكررا ... كعشرين يوما لا تعد من العمر
برغم بلائي بالسجون ونقلتي ... من النفي للتعذيب للبعد للاسر
وتركيَ داري هائما كل ليلة ... الى الصبح بين العود والناي والخمر
وشغلي بكتبي والصحاب ورفقتي ... وسكري (وتعتيري) الى مطلع الفجر
تحملها عسفي يزيد بحبها ... فؤادي فدامت لي الى آخر الدهر

أحـط مـن الحمـر

صدر أمر قائد الجيش العثماني الرابع جمال باشا ان ينتقل اللواء ٨٠ التابع للفرقة ٢٧ من موقع الصفورية قرب بلدة الناصرة الى الرملة ومنها الى صحراء سيناء وكنت ضابطا في الفوج الاول من اللواء المذكور وكان قائد الفرقة من أصدقاء عمي الصميمين فنظمت القصيدة الآتية وقدمتها لقائد الفرقة محي الدين بك قنوات الأرناؤوط وذلك يوم الثلاثاء الواقع في ١٨ أغسطوس سنة ١٩١٦ :

فديتك محي الدين يا صاحب الامر ... ويا قائد العليـاء والمجد والفخر
ويا سيد الاقران يا قاهر العدى ... ويا صاحب الاعلام تخفق بالنصر
أتيتك هذا اليوم والفكـر سابح ... ببحر شقاء دونه مزبـد البحـر
واني وان قصرت بالمدح والثنـا ... يقصر عن عليائك ما جاد من شعري
فمهلا اذن واسمع شكاية ضابط ... أتيتـم به جبرا ليركض بالوعـر
فما أنا ممن يقطع السهـل ماشيا ... ولست أجيد السير وثبا على الصخر
وما أنا الا كـاتب ذو يـراعـة ... يصوغ كلام العُرب في النظم والنثر
فيدفـع بالتحميس جيشا عرمرما ... لخوض غمار الحرب عن طيبة يجري
ولي نفس حُرٍ تأنف الضيم انما ... شربت كؤوس الخسف مرّاً على مرِّ
حملت كثيرا مـن اناس وانهـم ... وان خلقوا انسا أحـط من الحمر
وان كنت كالشمس المنيرة بينهم ... ولكنهم كالسحب في وجهها تجري

شكوت اليك الحال لا عن تصاغر وانك بي أدرى وأعلم في أمري
وان ظل عيشي في المهامه هكذا سألت اله العرش يقصف لي عمري

وبعد أن أخذ القصيدة ضحك وطلبني من اللواء الى مقر الفرقة وسافر اللواء ٨٠ وبقيت في مقر الفرقة وفي مذكراتي تفصيل تام لهذه الحادثة فليرجع اليه من شاء .

والحمد لله الذي استجاب دعوتي بقصف عمره لاعمري ؟!!

* * *

شمس وليل

قلت في شعر أسود فيه خصلة بيضاء كالثلج :

عثرت لحاظي في سواد ظلامه وعشت عيوني من وضاءة نوره
شمس وليل في أوان واحد سبحان ربي في طريف أموره

وذكر عسى أن تنفع الذكرى

تعين صديقي عمر بك زكي رئيسا لتشريفات عبدالله بن الحسين في قصر رغدان بعمان فكتبت اليه هذه القصيدة أبارك له بهذا المنصب في ٩٤٠/١١/٢٠ وكنت سعيت بتعيينه وهذه القصة ستأتي في مذكراتي .

أخي عمر يهنيك ما نلت من مُنىً ... فمني لك التبريك جئت به شعرا
وما زلت أنت اليوم في ظل دوحه ... فكن لبقا واسمع نصيحتي الغرا
اذا شئت أن تبقى سعيدا بقربه ... فكن حذرا جدا ولا تتبع الهزرا
وشيمتك الاخلاص والصدق دائما ... لسدّة مولانا واسرته طرا
وأول شيء يقتضيك اتباعه ... لمعرفة الاحوال أن تدرس القصرا
لتعرف أخلاق الجميع ولا تدع ... ـ يفوتك من عادات سكانه ـ أمرا
لتعمل ما يُرضي الامير وتنتهي ... بلا زاجر عن كل ما يجلب القهرا
واياك أن تغتاب حرا ولا تشي ... بشخص ولا تقطع عن المرتجي خيرا
وأوصل الى أعتابه كل قاصد ... ولا سيما ان كان دافعهم فقرا
ومن لم يكن يلقى شفيعا فكن له ... معينا بهذا تكسب المدح والاجرا
وباللين فاصرف ذا الوقاحة انما ... اذا لم يفدك اللين فاستعمل القسرا
ولا تعط أهل اللؤم وجها ولا تهن ... كريما ولا تنظر الى أحد شزرا
ولا تظهرن غير البشاشة عنده ... واياك فاحذر أن تدير له ظهرا
واما ترى فيه انقباضا ووحشة ... فجيء بنكات عذبة تشرح الصدرا

ولا تتلصص باستماع ونظرة ... ولاتُعل صوتا بالحديث الذي يُجرى
ولا ترتد الاثواب الا نظيفة ... ولا تتبرج ثم لا تتبع الكبرا
وفي الحق قل ما قد عرفت صراحة ... ولاتخش زيدا ان تأثر أو عمرا
ولا تسع بالافساد في القصر انما ... أزل كل شك ربما ينتج الشرا
وحافظ على ود الحواشي وكن لهم ... صديقا والا مت من كيدهم قهرا
وما كان لايعنيك دعه ولا تكن ... لجوجا وخذ ممن يكيد لك الحذرا
ولا تك طماعا بمال وثروة ... وان بذّروا الاموال فاعمل لهم وفرا
وكن لأعاديهم عدوا منابذا ... وعيناك فيهم فلتكن (عشرا عشرا)
وان سألوا يوما سؤالا ولم تكن ... عليما به فالصمت في ذلكم أحرى
ولا تتعرض للجواب مبادرا ... اذا أنت لم تسأل وكنت به أدرى
وساعد بما أحرزت من فضل خيرهم ... بلا منة اما رأيت بهم عسرا
وحافظ على الآداب في كل مجلس ... خصوصا بوقت الأكل أو (كسرة الصفرا)
وان كنت في ناد وجاؤوا بذكرهم ... فاصلح خطا النقاد بل احسن الذكرا
يعكّر صفو الملك أخطاء خادم ... له صلة بالقصر بل يفسد القصرا
فكيف بأخطاء البطانة ياترى ... وذنب الحواشي لايرون له غفرا
فاياك أن تخطىء فتأتي رحابه ... بعار يقول الناس ان جئته هجرا
عليك بآلات الفتوة(١) دائما ... ولا أقصد الاتقان بل أقصد الخبرا
واياك اياك النفاق فانه ... عن النفع عار انما يجلب الضرا

(١) آلة الفتوة هو أن يعرف الانسان كل مايلزم الفتوة من ألعاب السيف والشطرنج والسباحة والصيد وما الى ذلك .

ولا تبخَسْ في أيٍّ أمر سمعته ... اذا لم تحققه وتمعن به سبرا
ولا تستغل الناس ما كان شأنهم ... ولاترض منهم رشوة ودع البُشرى
بذلك ترضي الله والمَلك والذي ... يكون شريفا لايباع ولا يشرى
ولا تنتقد فعلا رأيت اعوجاجه ... على ملأ في الناس بل اجبر الكسرا
ولا تظهرن للناس انك صالح ... وغيرك غشاش لكي تكسب الفخرا
صلاحك في حسن الفعال حقيقة ... وبالقول لايكفي بأن تظهر الطهرا
ومع انني أدري بأنك عارف ... بما قلت في نصحي وأنت به أدرى
ولكنني ذكرت اذ قال ربنا ... وذكّر عسى أن تنفع الذاكر الذكرى

نمت على حرير

وعدني أحد أصدقائي بشيء وتأخر الوعد فكتبت له :

سحائب فضلكم مذ شع منها ... بريق الخير نمت على حرير
وطال الوقت حتى كدت أخشى ... انقشاع السحب دون غد مطير
فلا تبقوا المنى من غير سح ... ومطل الوعد يذهب بالسرور

وما كادت تصله الأبيات حتى وفى بوعده . .

الى الأمير مصطفى الشهابي

جاءني أحمد القعقاع الى دمشق وكان عندي طباخا يوم كنت في عمان ملتجئا يطلب مني توصية لمحافظ اللاذقية الامير مصطفى الشهابي لايجاد عمل له في شركة حصر الدخان فارسلت للأمير هذه الأبيات في ١٩٤٨/٩/١٦ .

يا حبيبي وأميري وصديقي ونصيري
أحمد القعقاع كان الامس في المنفى سميري
ولقد خفف عني بعض أعباء الشرور
وهو اليوم تعيس في حياة كالسعير
قد أتى يشكو ويبكي بعويل وثبور
جاءني يرجو نصيرا فاكفيه يا أميري

فسعى لدى مدير المصلحة وعينه نجارا فيها وأرسل لي جواب أبياتي أبياتا تأتي في مذكراتي .

مختار الجرباء

أهديت الى الصديق أحمد الجندي زجاجة كولونيا فكتب اليّ قصيدة يشكرني مطلعها :

أهديتني من عبير الزهر أعطارا سر الفؤاد لها والهم قد طار

وختمها بهذه الابيات :

ملأت دنياي من نعماك مكرمة ... والعطر أحسن ما في الكون تذكارا
لا زلت للوطن المحبوب خادمه ... ولم تزل لعبيد الدار عطارا
ياليتني كنت في كيوان(١) جاركم ... أو ليتني كنت في (الجرباء(٢)) مختارا

فأجبته :

مختار كيوان

جاء الرسول بشعر منك هيجنى ... كأن قلبي منه استاف أزهارا
فحن شوقا الى المحبوب يذكره ... بكل خير ولو في هجره جارا
شعر كريشة عود هيّجت شجنا ... في مهجة الصب تحنانا وتذكارا
شعر يدغدغ احلامي فيطربني ... قلبي لخفقته من وكره طارا
مسست فيه شعوري كي تداعبني ... كما تداعب كف الخود أوتارا
يا أحمد الفعل ياجنديّ ثكنتنا ... عش رغم أنف العدا بالصفو أدهارا
جعلتني ياخفيف الروح من خجل ... بأي قول أرد القول مختارا
(سلميّة) بك تزهو في مفاخرها ... لازلت فيها كريما تفتح الدارا
فعش وجيها ولاترهب بها أحدا ... ودق في عين من يشنوك مسمارا
ودمت عمدة (قاووش) الشباب بها ... حباك ربي (كساطورا وبسطارا)
ياليتك العمر تغدو لي توانسني ... في النيربين وفي كيوان مختارا

---

(١) كيوان : المحلة التي أسكنها اليوم في مدخل دمشق .
(٢) الجرباء : قرية في مرج عذراء لي فيها حصة .

هذي الوظيفة في كيوان شاغـرة لأن مختارهـا قـد طلّق الكارا
حيث استقـال وقد ظلت وظيفته لـلآن شاغرة من يـوم أن سارا

الـى أبى حيـان

في ليلة سمر مزحت مع الصديق (أبو حيان) الاستاذ أحمد الجنـدي وبدرت مني كلمة نابية من غير قصد فتأثر منها وقاطعني زمناً طويـلاً لم يزرني فيـه وفهمت انه لم يزل متأثرا من كلمتي فكتبت له ما يأتي فعـاد الزيارتي وعدنا الى صداقتنا بعد أن أسمعته اياها بالهاتف :

اذا سبـق اللسان بلا اختيار وأخطـأ دونما أي احتقـار
الى خـل صـديق ذي دلال كريم الاصل محمود النجـار
فعذر الخل مقبـول ويُعفـى عن الهفوات والقول (الفشار)
وكنت أظن أحمـد ذا وفـاء حصيفا فيـه أخـلاق الكبار
ووا أسفي رأيت خلاف هـذا له عقل الجنود (الانكشار)
الى حيان لو كان اعتـذاري على قـول به قبل اعتـذاري
وكان أجاب عـن فرح وشوق وأسرع راكضا كالسيل جاري
ولكني اعتذرت الى صـديق كبير الجسم في عقـل الصغار

السـلام على الفنـون

بعد اغلاق المعهد الموسيقي بطي مخصصاته جعلت اراجع وزراء المالية الذين تعاقبوا على كرسي الوزارة. ولما تعين السيد شاكر العاص وزيرا للمالية راجعته بخصوص المعهد الموسيقي وقدمت له هـذه القصيدة ولكن مـع الأسف لم يفعل شيئا :

مالي بعصـر النور نـاصر ... الا وزيـر المـال شـاكر
فـاسمـع شكاية مغـرم ... بالفـن قد مل الظـواهر
مـن عهد فيصل لم أجـد ... عونـا لمشـروعي يناصر
والفـن كاد يمـوت مـن ... جهـل الاصاغـر والاكابر
ممـن تـولـوا أمرنـا ... في الحكم من ماض وحاضر
مـن كـان يمـلأ نقـده ... رحب البوادي والحواضر
يبـكي عـلى الفـن المضا ... ع بعصرنا فـوق المنـابر
وعـلى تأخرنـا تـراه ... بـكل معنى القول ثـائر
واذا أتـى كرسي الـوزا ... رة مثل من سلفوا يـكابر
ويعـود أبـكم بـل أصـ ... ـم تقول مـن أهل المقـابر
ويصـير يهـرب كالغزال ... اذا رأى الصيـاد سـائر
واذا أقيـل أو استقـ ... ـال تـراه يأتي بالمعـاذر
والآن أنـت وزيـرنـا ... والمـال بين يديك وافـر

وعلى اشادة معهد ... للفن أنت الآن قادر
ياصاحب الفكر السليم اليو ... م في الجيل المعاصر
في عود سكة آدم(١) ... ان كنت (عاص) فيه كافر
في عود(٢) موسيقى جدو ... دك كن اذاً حيَّ المشاعر
أسس لأمة يعرب ... عملا به دوما تفاخر
فاذا فعلت فمرحبا ... وأنا أكون اليك شاكر
واذا رفضت قل السلا ... م على فنون العُرب «شاكر»

(١) عود الحراث .
(٢) العود آلة موسيقية معروفة.

يلزمــه الطنــز

اجتمعت بالاخ المرحوم خليل بك مردم بك وجرى الحديث بيننا عن الشعراء في تلك الايام وذلك في اوائل دخول الملك فيصل الى دمشق فقال لي اني اتفقت مع الاستاذ أحمد شاكر الكرمي صاحب الميزان على تقويم شعراء اليوم وشننشر التقويم قريبا ، قلت هل يمكن أن تسمعني تقويم شاعر ممن ستكتبون عنهم قال نعم قد قلنا في الاستاذ محمد البزم :

رأى مشكاة الشعر فسار اليها ولما كاد ان يصلها ضل الطريق ، وانتهى اجتماعنا وبعد بضعة أيام تصادفت مع الاستاذ البزم في مطعم وجلسنا على مائدة واحدة وأخذنا بأطراف الحديث وكان الاستاذ البزم ورث عن والده مالا لابأس به فترك العمل وأغلق حانوته وباع البضاعة وأضاع جميع ثروته في المسارح والمواخير وكاد ان يعلن افلاسه واصبح شعره فيه شيء من الركاكة لكثرة السهر وقلة المطالعة فلما اجتمعنا في المطعم قلت له اذا بقيت على هذه الخطة فانك ستفقد أصدقاءك وستعرض نفسك لاصحاب الالسنة الطويلة قال ماذا تعني ، قلت : أخبرني أحد أصدقائي انه عازم على تقويم الشعراء وقد قال فيك كلمة لا أريدها لك وأنت مــن خيرة شعرائنا والذي قالوه فيك هو كذا وكذا فدع هذه الحياة وعد الى عقلك وارجع الى مكتبك للمطالعة لتعيد ثقة الناس بك قال من هو المقوِّم قلت ستعرفه عندما ينشر تقويمه قال أظن أنك أنت هو قلت لا قال اذاً لماذا لاتخبرني قلت لا أريد أن أرمي اخواني ببعضهم وبعد نشر التقويم ستعرفه فتركني ومضى غاضبا وبعد بضعة أيــام قرأت قصيدة زائية في جريدة المفيد التي كان ينشرهــا الاخ الصديق الاستاذ خير الدين الزركلي يفخر فيها على معاصريه ويهاجم فيها شخصا لم يذكر اسمه وقال لاحد اصدقائه ان هذا الروي لايوجد في جميع دواوين العرب قصيدة تحوي أكثر من أربعة عشر بيتا من هذا الروي وان قصيدة البزم فيها ثمانية وعشرون بيتا وهذا مما يفتخر به فكتبت القصيدة الآتيــة وارسلتها الى الاستاذ الزركلي لينشرها في الصحيفة ردا على البزم وكان الزركلي صديقنا نحن الاثنين فأخَّر نشر القصيدة وأطلع البزم عليها فجاءني مهرولا وقال : مادهاك مالك ومالي قلت جوابــا على قصيدتك ، قال انا لم أقصدك انت قلت بلى : قال أبدا واقسم أيمانا مغلظة

أنه لم يقصدني فيها قلت من تقصد قال المقوّم الذي أخبرك قلت وماذا تريد الآن قال أريد أن تبقى قصيدتك بلا نشر وسنبقى الى آخر العمر أصدقاء وكان ذلك . وبعد نشر قصيدته أظن أن الكرمي ومردم بك احجما عن نشر التقاويم وقصيدتي التي لم أنشرها آنذاك هي هذي :

عجبت وأيم الله من أمر شاعر ... له كل يوم في تقلبه طرز

ولم أر فيما قاله في زمانه ... من الشعر بيتا كان فيه له فوز

ومن يدّعي في الناس ماليس عنده ... ولم يأت بالبرهان يفضحه العجز

ويسكت دهرا ثم يأتي بقطعة ... يظن بأن الكون من ذاكَ يهتز

يفتش في القاموس عن كل لفظة ... لها في مجاري السمع من وقعها وخز

فان كان اظهار البلاغة في الورى ... بزعمك ياهذا هو الحمز (١) والجمز (٢)

فتلبا (٣) اذا اللمصمغد (٤) ينزبه (٥) ... هو البغشر (٦) الجفاخ (٧) يلزمه الطنز (٨)

فقل لي اذن بالله ان كنت عالما ... متى كان سبع الغاب تنطحه العنز

ولكن اذا دار الزمان بأمة ... ونامت نسور الجو يستنسر الوز

---

(١) حمز يحمز حمزا الخردل اللسان لذعه .
(٢) جمز يجمز جمزا عدا وأسرع .
(٣) التلب الخسار يقال تبا له وتلبا له الزمه الله هلاكا وخسارا .
(٤) المُصْمَغِدّ : المتكبر المتعجرف .
(٥) النزب : الصوت العالي .
(٦) البغشر الأحمق .
(٧) الجفاخ : بمعنى الجخّاخ أي المتكبر .
(٨) الطنز السخرية والطنّاز الساخر .

نهـر النيـل

في عـام ١٩١٦ وقعت أسيرا في موقعة بئر السبع بيـد الانكليز مـع الاميرين بهجت وفايز سليم الشهابي وقد اوقفونا في قصر النيل في القاهرة. فطلب مني الأمير وصف النيل وقصره بأبيات فقلت :

النيـل نهـر له فضـل يميـزه ... مبـارك الاسم عند الله والناس
ينساب شبه الافاعي في تعرجـه ... بين الجنان جنان النخـل والآس
والشمس ان عكست في مائه رصفت ... رصف الرداء على أكتاف (قواس[1])
أما انعكاس شعاع الكهربـاء به ... بالليل يحكي انعكاس الشمس بالماس
وقصره قد حكى الحمراء مفتخرا ... بالنيل تلقاه دوما رافـع الراس
شبه القلاع متـين الاس تحسبه ... صرحا على جبل من فوق أقواس
أشجاره باسقات والطيـور على ... أفنانها قد شدت من كل أجناس
من أسود قـاتم أو أبيض يقـق ... كعمة الشيخ أو سـربال شماس
في حلبة الوصف مهما طرت في قلمي ... فانني مـدرك تقصـير أفراسي

---

(١) القواس : هو محافظ القنصل الأجنبي في البلاد العثمانية يلبس رداء موشحا بالقصب ولم يزل الى اليوم في بلاد الشام منهم حجاب للبطاركة.

تضحك في الكؤوس

كان أحد الجنود المتطوعين الذين خرجوا من مكة مع الأمير فيصل عام ١٩١٨ في الثورة العربية الكبرى المدعو السبع من أهالي مكة السكيرين المشهورين وبعد خروج الأمير فيصل من دمشق الى بغداد التحق السبع بالأمير عبد الله في شرقي الاردن وكان يسكر ليلا ونهارا بشكل غريب وقد رأيته يوما في شونة العدوان سكران يعربد فناديته ياسبع قال لبيك قلت علام تعربد قال اسمع الخمر تصمت في الزجاجة وتضحك في الكأس وترطن في الرأس فأخذت هذا المعنى من السبع السكران وزدت عليه .

الخمر تصمت دائما ... في دنها صمت العروس
لكن اذا أطلقتها ... تزهو وتضحك في الكؤوس
واذا تعدت طورها ... بالفعل ترطن في الرؤوس
وتصول في ساح الدماغ ... كأنها البطل الشموس
وتطل من حدق العيون ... بلون نيران المجوس
فكأنها الأقدار تلهو ... في حظوظ ذوي النحوس
وبرغم ذلك انها ... تهدي المسرة للنفوس

حاسد على نعمة أو شامت

بعد انتقالي من دمشق الى ضاحيتها كيوان لامني بعض الأصدقاء فنظمت ماقاله عروة بن الزبير وقد قالوا له ألا تنتقل الى المدينة قال : مابقي بالمدينة الا حاسد نعمة أو شامت بمصيبة فقلت :

قالوا لعروة مرةً من بعد ما ... هجر المدينة هجر حُرٍّ يائس
أفلا تعود الى المدينة قال لا ... غدت المدينة محبسا للفارس
لم يبق فيها غير حاسد نعمة ... أو شامت بمصيبة أو يائس

أضرموا الثورة

وقلت : بعد احتلال الافرنسين لسورية في أيام الثورة السورية عام ١٩٢٥ هذا الموشح وطبعته بنشرات وألقيتها في شوارع دمشق نشرة سرية أثرت على الافرنسيين تأثيرا كبيرا اذ لم يعرفوا مصدرها لأني أنا الناظم والطابع والناشر .

يا أباة الضيم يا أسد الحمى ... لم يزل في الشام بعض القبس
أضرموا الثورة يا قومي فما ... بعد هذا العيش غير الدنس

* * *

يا بني الشام رأيت العجبا ... منكم والله في ذا الزمن
حقنا من يدنا قد غصبا ... وسوانا نام في عيش هني
من رضوا بالذل ليسوا عربا ... فاقتلوا من رام ذل الوطن
لاينجّينا سوى سفك الدما ... فاغسلوا بالدّمِ وصم الرجس
قتلة الأفراد تحيي الأمما ... والدما للملك خير الأسس

* * *

ان ما يأتيه أهل الانتداب ... كل يوم من ضروب الحِيَل
ليس يجديهم وان نالوا السحاب ... أي نفع غير محض الفشل
فدعوهم يرهقونا بالعذاب ... ليروا فعل الضعيف الاعزل
وليكموا فم من شاءوا فما ... مات من يُبلى بداء الخرس
ان بين البكم من يأتي بما ... عجزت عنه فحول النُطُس

* * *

ان مـن يأتي الينـا من بعيـد ... ويمنينـا بـخـير النِّعَـم
هو من لم يرضَ عن بيع العبيـد ... واستحـلَّ اليوم رِقَّ الأمـم
لست أدري كيف منـه نستفيد ... كيف نجني عسلا مـن علقـم
بـين عـلَّ وعسى مـع ربمـا ... قُطـرنـا يلحـق بالأندلس
ليس من يجبن منا مسلمـا ... لا ولا يعـرف روح القدس ..!

* * *

هل يطيب العمر في هذا الوجود ... أو يلذ العيش في هذا الزمـان
بـين قوم لايراعـون العهـود ... مالهم عهـد ولا منهـم أمـان
خيرة الشبان أسرى في القيـود ... وكرام العرب في أقصى هـوان
أمـة تشكو الأسـى والألمـا ... بـين أيـدي فاتـك مفتـرس
فلنجُد بالروح قـومي مثلمـا ... جـاد طـلاب العـلا بالأنفس

* * *

ان بقينـا اليوم من غـير حراك ... وسـوانا صـاعـد للقمـر
وقضينـا وقتنـا بالانهمـاك ... في هـوى الأنفس بعض الاشهر
ما لنـا من بعدهـا الا الهـلاك ... فاحـذروا يـاقـوم كلَّ الحذر
قـل لمن ضحَّى هـواه الشمما ... طمعا في منصب أو مجلس
لاتـرَجِّ الدهـر منهـم مغنمـا ... مفلس لايغتنى مـن مفلس ..!

بهـاء الشمس

ذهبت الى طرابس الشام في شهر مايس سنة ١٩٢٦ وجلست في دكان لعبد الرحمن شمس وكان فيها بعض أصدقائي وقد اتخذوها مجتمعا لهم لرقة صاحبها وكريم خلقـه وكان يبيع فيها التبغ وكثـيرون كانوا اذا جاؤوا لشراء علبة دخان يستحون من الجالسين ويذهبون فقلت له خذ هذين البيتـين وعلقهما في الحانوت ففرح وعلقهما بعـد أن كتبهما بخط جميل :

جلوسكم عندي يضـرُّ مصالحي ... فلاتقطعوا رزقي ولاتُزهقوانفسي

فانكم كالغيم في جـوِّ مخزني ... تلبـده دوماً يغطي سنى الشمس

فكان هذان البيتان سبباً في قطع الزيارات عنه .

حلم هل يتحقق ؟

رأيت فيما يرى النائم سنة ١٩٥٠ حلماً لطيفاً وبعد أن صحوت أحببت أن أنظمه فقلت :

شمت في هدأة روحي حلما ... بعد نصف الليل قبل الغلس
انني في جنة الخلد وما ... شاقني غير جمال المجلس

* * *

أنا في قصرٍ سما فوق القصور ... أقطع الوقت بانس وانشراح
مع أصحاب أضاؤوا كالبدور ... بوجوه قد حكت نور الصباح
وجنينا من بساتين السرور ... كل صفو بين جدٍ ومزاح
وسلاما قولنا كان كما ... خِلْت أنّا في ليالي عرس
لم نجد في الخُلد الا نعما ... لم تكن في الشام والاندلس

* * *

نحن في عدن ورضوان كبير ... وكأنّا والأماني خالدون
وعلى رفرف خُضر من حرير ... قد جلسنا فوقها متكئين
تحتنا الأنهار تجري من خمور ... نحتسيها بكؤوس من معين
حولنا الولدان كاللؤلؤ ما ... مثلهم بالحسن أو بالملبس
فيطوفون علينا دائما ... بأباريق الطلا والأكؤس
وشربنا لبنا في عسل ... وسُقينا الماء غير الآسن

* * *

في صفا الأوقات والبال خلي ... من هموم وفؤاد آمن

فاكهون مالنا من شُغْلِ ... ظاهر الندمان مثل الباطن

سُرُرٌ مرفوعة فيها كما ... ان فيها حللا من سندس

كان فيها العيش رغدا ناعماً ... كل مافيها شفاء الأنفس

* * *

أين خمر الشام أين الخندريس ... من مياه الكوثر النهر الجليل

كل مافي الخلد فتان نفيس ... مابها لغو ولا قال وقيل

ليس فيها من عجوز درديس ... جوها بالمسك والعطر بليل

ماشعرنا ألما أو سأما ... من عذول أو عيون الحرس

ما أصبنا وَصَباً أو سأما ... لم نجد بالخلد من مبتئس

* * *

وأتونا بقيان فاتنات ... ناعسات الطرف من حور وعين

ماحوت أمثالهن الكائنات ... وعليهن غدونا عاكفين

قلت غنينا بحقي يابنات ... من غناء العُرب الأكرمين :

« جادك الغيث اذا الغيث همى ... يازمان الوصل بالأندلس »

« لم يكن وصلك الا حلما ... في الكرى أو خُلْسةَ المختلس»

* * *

فتغنين ورددن الغناء ... وتمادى الليل ما شاء الاله

وانتشى من رقصنا أهل السماء ... وانجلى عن ليلنا الزاهي دجاه

ويمسك الخلد كان الانتهاء ... عندما الطير بدا يفتح فاه

أومأ الصبحُ الى الليل بما ... أشعر الليل بخوف موجس
فتوارى خجلا وانهزما ... مطرقا يعدو كعدو الفرس

* * *

وصعدنا في السماوات نطير ... كفراش هائم كنا نحوم
وشموس الكون تجري وتدور ... بنظام جلّ عن وصف العلوم
وتحيرنا بذا الملك الكبير ... وسبحنا في الفضا مثل النجوم
وانطلقنا في العَلاء بعدما ... كانت الارض لنا كالمحبس
تلعب الاقدار فينا كالدمى ... في يَدَيْ طفل ولم يحترس

* * *

كُرة دوّارة حول ذكاء ... هذه الأرض رأيناها تدور
ورجوم سابحات في الفضاء ... وشموس باسمات لبدور
آه ما أحلى عروجا في السماء ... ما ترى الأبصار فيها من فطور
غير أجرام الدراري حُوّما ... في نهار لفها كالبرنس
أيها الجاحد كن منسجماً ... هذه آيات ربِّ الخنّس

* * *

ومضت قافلة الحلم بنا ... في فضاء نثرت فيه النجوم
لم نجد غير تباشير السنى ... تزدهي بين ثنيات الغيوم
ووصلنا بعد يأس وعنا ... مهبط الالهام وادي أورشليم
فهبطنا في فلسطين وما ... هاجنا الاّ شحوب القدس
وأذان موحش فيها كما ... أوحش الآفاق قرع الجرس

فبكينا ليته يجدي البكاء ... ما أضعنا أمسِ من أرض ومال

قلت فلنبك كما تبكي النساء ... حيث لم نَحْمِ حماها كالرجال

يابني يعرب ما هذا الوناء ... نحن نمشي في طريق الانحلال

نحن في جهل وفي الجهل عمى ... للقلوب قاتل للأنفس

فتقوّوا واستعدوا في السما ... وعلى الأرض وفوق الأطلس

* * *

ذاك حلم شمته في الجنة ... وبه أحلى معاني النعم

حقق الله أماني أمتي ... قال شوقي وهو تاج الكلم :

« الأماني حلم في يقظة ... والمنايا يقظة من حلم »

« واذا الاخلاق كانت سلماً ... نالت المجد يد الملتمس »

« فارقَ فيها ترقَ أسباب السما ... وعلى ناصية الشمس اجلس »

علـى الفاضـي

يوم حفلـة تكريم الاستاذ ايليا أبي ماضي شاعر المهجر في الجامعة السورية بدمشق في ١٩٤٨/١/٨ خرجت مـن الحفـلة ودعوته لأوصله الى الفندق بسيارتي وكان مقيما في تزل الشرق « اوريان بالاس » وسرنا بين السيارات نفتش عن سيارتي وأنا آخذ بيده وبيده الاخرى قـد أخذ الاستاذ خليل مردم بك الشاعر المشهور وأخذ بيد هـذا الاستاذ ميشيل أبي شهلا وأخذ بيد هذا الاستاذ يوسف يزبك وبشق الانفس بلغنا السيارة وبعد أن صعدنا اليها وقف المحرك « المارش » وعالج السائق تشغيله فلم يفلح الى أن ركض بعض الشـرطة وحجـاب الجامعة وجعلوا يدفعـون السيارة والناس ينظرون الينا ويضحكون وقد وقف رتل كبير من الخارجين مـن الجامعة يتفرج علينا وقد سد الطريق بالناس والسيارات ومـا تحركت السيارة حتى زال الجبل الوهمي الذي ركب على صدري ولما صحوت في اليوم الثاني من النوم مر على فكري هذا الشطر «من قبل حفلة ايليا أبي ماضي» فقمت حالا الى القلم والورق فكتبت :

مـن قبل حفلة ايليـا أبي ماضي ... قد كنت ياقوم عن سيارتي (راضي)
دعوته بعـد ان ألقى قصيدتـه ... يمشي بثوب من التكريم فضفاض
كي يبلـغ الشاعر المحبوب فندقه ... أكرم بـه من فتى بالسحر فياض
فراح يمشي معي والصحب تتبعنا ... فمشي مستمهل أو مشي ايفاض
حتى وصلنا بشق النفس وانفجرت ... عـن ثغره بسمة شعت بايماض
لمـا ركبنا جميعا والفؤاد مضت ... تجول أشداقـه في عهدنا الماضي
رأيت سائقنا كالـهر في جـزع ... يدير في (مرشها لكن على الفاضي)

وراح يشتم «ديك المرش» في غضب ... كأنه في اللظى يصلى بارماض(١)

والناس ترمقنا من كل ناحية ... من الوزير الى القسيس للقاضي

وخف ناس من الحجاب تدفعنا ... وحركوها فصرّت صرّ رضراض

واصفر وجهي حياء من جماعتنا ... كأنهم صبغوا وجهي بترباض(٢)

وصرت في حيرة مما وقعت به ... كأنهم قرضوا لحمي بمقراض

حتى مشينا نفست الكرب مبتهجا ... كما تنفّس بكر بعد اجهاض

ياسائق اللؤم لاحييت من رجل ... يبليك ربي بسل أو بامعاض(٣)

الاحتياج

لما التجأت الى شرقي الاردن سنة ١٩٣٩ قبل اعلان الحرب العامة الثانية هربا من السلطة الافرنسية التي وضعت في (كاراج) داري في قرية الجرباء سلاحا حربيا ، بنادق وعتاداً لتلقي علي القبض وتضعني في السجن فهي وضعت السلاح وهي التي وضعت يدها عليه لتجد سببا لسجني لان الافرنسيين بدلوا المندوب السامي في سوريا قبل نشوب الحرب بمفوض سام يدعى المسيو (بيو) وأتوا به في هذا الوقت ليحيك الدسائس ويقضي على الحركة الوطنية وقد ظهرت أعماله مفضوحة بعد وصوله بقليل حيث دبر مؤامرة قتل فيها المرحوم الشهبندر وأمر بالقاء القبض على عشرات الوطنيين وساقهم الى السجون وساق غيرهم الى المنافي وكان البدء في أعماله أن أرسل مستشار الجيش في قضاء دوما فوضع في داري بندقيتين وادعى أنه عثر عليهما أثناء التفتيش والقى القبض على جميع المستخدمين في دائرتي وجعل يحقق ويدقق ويقول من وضع هذا

(١) أرمض الشيء : أحرقه .
(٢) الترباض : العصفر .
(٣) الامعاض : الايلام .

السلاح هنا ؟ أليس فخري البارودي ؟ فالجميع أنكروا الا الطاهية أم سعيد قالت له أن الذي وضع البنادق هو الجندي الذي جانبك لأني رأيته بام عيني من كوة المطبخ فضربها وأسكتها وقد بلغني الخبر بسرعة فاختفيت يومين في دمشق ثم فررت الى شرقي الاردن لانقذ نفسي من السجن .

وقد قبضوا على اثنين من رجالي وسجنوهما ويوم فراري كانت شرقي الاردن تحت الانتداب الانكليزي وقضيت فيها سنة وعشرة شهور وقد ذكرت ذلك مفصلاً في مذكراتي وقد لامني بعض الاصدقاء وهو الأمير فائز الشهابي وكان موظفا في هذه الامارة على التجائي اليها مع معرفتي أنها تحت الانتداب الانكليزي قلت له ألست أنت احق مني باللوم أنا ملتجيء اضطررت الى ذلك لأني لم أجد منفذا للفرار الا شرقي الاردن أما انت فموظف عند الانكليز وتلومني قال ان اضطراري للمعاش جعلني أقبل هذه الحياة فقلت متمثلاً بقول الشاعر :

قالت لجارتها يوما تعيرها ... أقرنت زوجك أن القرن يفضحه

قالت أ أتركه جَحَّا بلا قرن ... يأتيه زوجك ذو القرنين ينطحه

فخجل وقال هل يمكنك عمل بيتين تبرر فيهما الالتجاء الى مستعمرة انكليزية فقلت بديهة :

قالوا أتقصد أهل اللؤم من شُتموا ... بين الأنام بتصريح وتعريض

فقلت لا تعجبوا من حاجة عرضت ... فالمرء يحتاج حتى للمراحيض

مجلس القاضي

كنت يوما في محكمة عمان فجاءني رجل أقامت عليه زوجه الدعوى بطلب النفقة يطلب مني مساعدته فقلت له أجبني بالله هل أنت قائم بوظيفة الزواج حق القيام قال دعني فاني مريض ليس لي قوة على ذلك قلت له ألديك من المال مايكفي اعاشة الزوجة قال والله أني لاأجد ثمن ماأتبلغ به فصفعته على قفاه وقلت له اذهب ما دمت لاتحط ولا تنط وقلت :

من شاء يحيا سعيدا دائما أبدا ... مع زوجه وهو عن أعمالها راضي

شيئان أيُهما قد صحَّ في يده ... كافٍ لابعاده عن مجلس القاضي

خير و(شيء..) وان صحَّا معاً فله ... سعد السعود وبال" ناعم (فاضي)

خدّاع ومخدوع

الى مَ أنت بطيب القلب مدفوع ... والناس قسمان خدّاع" ومخدوع

طبيعة الشر في الحيوان قائمة ... غريزة وهو بالاجرام مطبوع

وشيمة الخير تبدو في مظاهرنا ... والشرُ في سرنا المَطوي" مشروع

كلُ امرىءٍ صائد والمال بغيته ... والصيد عند جميع الناس متبوع

فصاحب الحظ قد يودي به تخم ... وسيء الحظ قد يودي به الجوع

سبحان من قسَّم الارزاق انَّ له ... في خلقه حكمة والرزق مقطوع

الساعي بالشر لئيم

لئيم الأصل من يسعى بشرٍّ ... ليفسد من دناءته الجماعه

وشر منه من يصغى اليه ... وحسب الشر أن يلقى سماعه

الممات أنفع للذكرى

وقلت وقد لامني بعض أصدقائي على سكوتي مدة وذلك سنة ١٩١٥ أثناء الحرب العالمية الأولى وكنت ضابطا في الجيش العثماني .

علام بني عمي بلومي أسرعوا ... ألم أكُ قبل اليوم بالحقِّ أصدع

ألم يكُ لي في كل ناد مقالة ... ترددها الأقوام والشرق أجمع

تعدون لي ياقوم صمتي نقيصة ... ولم أكُ في صمتي من الموت أجزع

اذا لم يكن من بعد قولي ثورة ... لشدَّتها صُمُّ الجبال تصدَّع

فماذا يفيد القول والجُلُّ منكم ... غدا مثل عير الحي للذل يَخْضَع

أذكركم يا قوم بالحيف دائماً ... وأغلظ في قولي وحيناً أقرِّع

وأنتم كاهل الكهف جسما وهيكلا ... ولكن بلا حسٍ فمن ذا أسَمِّعُ

وَكَلْنا الى الأغراب كل أمورنا ... وصرنا عبيداً بالمقارع نُقْرَعُ

لنا عتبات الباب في كل مجلس ... واجلافهم فوق الدسوت تربعوا

وكم أهلكوا بالجوع من غير رحمة ... نفوسا لها قلب الوحوش يُرَوَّعُ

وكم من فتاة زيّنَ الطهر نفسها ... قضت يومها بالجوع والعين تدمع

وليس لها باب لتحصيل رزقها ... ففي يومها الثاني على الرّغم تخضع

يُباع عفاف البنت في السوق ويحنا ... على مشهد منا نراه ونسمع

ونحن نرى هذا ونرضى كأننا ... عجائز قوم بالخطوب تُرَجّعُ

فان كنتم من نسل عدنان فانهضوا ... الى رفع هذا الذل عنكم واسرعوا

فأما حياة لاتشاب بذلة ... وامّا ممات فهو للذكر أنفع

الى فتاة الهاتف

لما بدّلت الحكومة السورية الهاتف اليدوي بالهاتف الآلي سنة ١٩٤٧ جعل الناس يتندرون مع أصدقائهم ويعاكسونهم دون أن يعرف المخاطب شخصية مخاطبه وكان المجّان والماجنات من فتيان وفتيات دمشق يداعبون الناس خصوصا من عُرف بين قومه انه من أهل التندر وقد تسلط عليّ بعض الآنسات الناشئات فجعلن يداعبنني في كل فرصة يجدنها وكنّ خفيفات الروح ليس فيهن غلاظة وكن لطيفات الحديث وطلبن مني يوما ديوان عمر بن أبي ربيعة وظهر لي منهن انهن اديبات أحببن مداعبتي فقلت هذه القصيدة ونشرت في مجلة الدنيا وبعد نشرها انقطع عني حديثهن :

شيخ تغازله ليلا وفي شغف ... خود ورفقتها من أتحف التحف

يا من تداعبني بالهاتف اتئدي ... فالعشق أوردني أو كاد للتلف

الصوت في اذني كالناي يطربني ... والجسم كالجن في جوف الظلام خفي

يسري بي الفكر في بيداء مظلمة ... حتى غدوت بها أوهى من الألف

أصواتكن لها في السمع دغدغة ... وهمسكن به شيء من السّرف

عشرون آنسة يضحكن في مرح ... في كل آونة ما ذاك بالصدف

من التي سألتني الأمس عن عمر(١) ... تروم ديوانه مني ويا أسفي

لِمْ لا تطالبني تلك الفتاة ترى ... بشعر أشياخها فخري أو النجفي(٢)

فابن الربيعة ذكرى في خواطرنا ... ونحن والله أولى منه (بالرَّهَف)

لا يفزعنَّك شيخ في صبابته ... جاز الشباب بقلب مغرم دنف

يخفي وقائعه عن سمع كل فتى ... حر أبيّ كريم مبدع الطُّرَف

تخشينَ لقياه في عصر لكنَّ به ... مكانة مارآها الناس في السَّلف

تطلبن منه مساواةً بعجرفة ... وتختبئن بهذا العصر في الغُرف

أتتُنَّ باقة زهرٍ والربيع بها ... عَلَيَّ قد جاد أم أتتن فيَّ النَّصَف(٣)

ان كنتِ زنبقة زوري ولا تخفي ... مني والا فحلّي اليوم عن كتفي

الغيد درٌّ بجيد الدهر مرتعش ... وتحفة" حيَّة" من أندر التُّحف

ماقيمة الدرِّ امَّا ظل مستترا ... فالدرُّ في الجيد غير الدر في الصدف

هيا اذاً نجتمع رغم العذول غدا ... والهجر ان طال يدعو الناس (للقرف)

ولنترك الهمس فالأسلاك تزعجنا ... والهمس يودي بقلب الصبِّ (للتلف)

---

(١) عمر بن ابي ربيعة .

(٢) النجفي هو الشاعر المشهور أحمد الصافي النجفي .

(٣) النَّصَف : المرأة في منتصف العمر .

حديث الى الأطفال

كان حسين جاهد الاديب التركي وزير داخلية الدولة العثمانية بعد الانقلاب الحميدي ، وصاحب جريدة طنين ، زار مدينة جنيف في سويسرة سنة ١٩٠١ وكانت معه ابنته وبينما هما في أحد الشوارع شاقتها وردة فقطفتها من شجرة الشارع واذ بالخفير يتصدى لها سائلا لماذا قطفت هذه الوردة ؟ هل هي لك ؟ قالت لا بل هي للبلدية فقال الا تعلمين ان هذا ممنوع قالت أنا غريبة من تركيا لا أعرف عادات البلد فقال اذن اذهبي فأنت من الشرق من الشعوب السخيفة المنحطة ليس عليك من عتب فذهبت مخجولة ووالدها كاد أن يتمزق فؤاده من التأثر فكتب على هذه القصة أربعة عشر مقالا افتتاحيا في جريدته طنين تحت عنوان زهرة الشارع ولما لجأت الى عمان في الحرب العامة الثانية أرسلت الى راديو القدس حديثا للاطفال في شتاء سنة ١٩٤٠ تحت عنوان « زهرة الشارع » ونظمت بالحادثة الأبيات الآتية وأرسلت الحديث مع القصيدة باسم العم المجهول :

جاهد وابنته نور الهدى ... لقضاء الصيف مرًّا بـ (جنيف)

ذات يوم مشيا في شارع ... فاتن ملآن بالزهر اللطيف

فاشتهت بنت الوزير زهرة ... أعجبتها حينما كانت تطوف

أقدمت واقتطفت من جهلها ... وردة من ذلك الورد الكثيف

واذا الحارس من مكمنه ... راكضا يسعى اليها (يالطيف)

عندما قابلها خاطبها ... بازدراء القول في وجه مخيف

لِمْ قطفت الورد هذي سرقة ... ليس يأتيها سوى النذل الضعيف

فأجابته بصوت خافت ... اننا أغراب في هذا المصيف

نحن أتراك وفي أوطاننا ... مثل هذا عندنا أمر طفيف

قال في الحال اذهبا انكما ... من بني الشرق من الشعب السخيف
أطرقت من قوله واختجلت ... وعلا الدمُ محياها الظريف
مضيا في حيرة بل ذلة ... لاعنين الحظ والعقل الخفيف

* * *

أيها الأولاد هل لاحظتم ... أثر التقريع في الدرس العنيف
لاتمسوا زهرة في شارع ... باسق الأدواح أو داني القطوف
واذا ما سرتموا في شارع ... فخذوا يمناكموا فوق الرصيف
ان مجد العرب مجد تالد ... فاحرصوا كي تكسبوا المجد الطريف

يوم الفراق

من غرائب القدر ماحدثني به السيد عمر العمري قال صحوت يوم وفاة المرحوم ابني أحمد الذي دهسته السيارة وأنا أردد هذا البيت :

ان يوم الفراق قطّع قلبي ... قطّع الله قلب يوم الفراق

قال : ورآني أحمد أردد البيت وقال : ماذا تقرأ؟ قلت بيتا رأيت نفسي أنشده في الرؤيا وهو هذا فجعل المرحوم يردده وذهب السيد عمر بك الى عمله وبعد أربع ساعات من ترديد البيت أتاه الخبر بالحادث وهو أن سيارة كانت مسرعة صدمت ولده وهو على دراجة نارية فاردته قتيلا بالحال وطلب مني أن أجيز هذا البيت بابيات تكتب على شاهدة قبر المرحوم أحمد فقلت :

« ان يوم الفراق قطّع قلبي ... قطّع الله قلب يوم الفراقِ »
قر عينا ونم بمقعد صدق ... أحمد الخير في حمى الخلاقِ
وقريبا سنلتقي بخلود ... دائم الصفو سرمديّ التلاقي

وكتبت الأبيات على الشاهدة وهي باقية الى اليوم .

لـؤم الطبـع ارث

بلغني ان أحد أخصامي يشتمني في المجالس ويسمى صبري فقلت :

يقول الناس لِمْ لَمْ تهج صبري ... أغـابت عـن نباهتك الحقيقـه

ألـم تسمـع كلاما فيـه طعن ... مَشين" ضد أسـرتك العريقـه

ألـم يبلغك شتمك كـل يـوم ... فقلت بلـى وحملتـه الصفيقـه

وأوقـاتي لهـا ثـمن لـهـذا ... حـرام أن أضيـع بـه دقيقـه

ولـؤم الطبع في الانسان ارث ... تسلسل في الورى منذ الخليقه

سـد حلقـي

أغار بعض الأعراب بقيادة الشيخ سلطان الطيار على طرش بلدة جنين فاستاقها مع طروش الفرقة العسكرية ٢٧ المخيمة في فلسطين فارسلني قائد الفرقة لتعقيب الأعراب ودفعهم عن قضاء جنين وكنت قائداً للسرية الاولى من الفوج الثالث اللواء ٧٣ ولما عرف الاعراب بقدوم السرية غادروا القضاء مع الطروش وكان الجيش التركي آنذاك في أشد الضيق من قلة الأرزاق وتعرفت بالعقيد بكر صدقي فنظمت هذه الأبيات وقدمتها الى بكر صدقي بك القائمقام العسكري قائد المنزل في جنين سنة ١٩١٦ فأمر لي بعد قراءتها بأرز وسكر وسمن وما كان عنده من المؤونة التي حرمناها مدة طويلة أيام الحرب .

أمـير الفضل والاحسان يامـن ... بحمـدك لايفـي قلمي ونطقـي
عليـك عقـدت آمـالي واني ... سئمت العيش في تحصيل رزقي
ألـم يـكف التشرد في قفـار ... وأسفار بهـا قـد سـاء خلقي
شهور في الخيـام مضت بحر ... وقـرٍّ بـل وفي رعـدٍ وبـرق
(ووزوزة) البعوض بدون ضوءٍ ... بجنـح الليـل مع قمـل وبق
ولا ذهب غـدا بالجيب أصـلاً ... ولا (متليك(١))حتى زاد حمقي
وفي هذى البلاد غـدا التعاطي ... بـأوراق ولـكـن دون وِرق
وحاجـات الطعـام كفـاك ربي ... مغبتهـا فـدومـا فـي ترقـي
حرمت الأكـل مقليـا بسمـن ... ونفسي تشتهي محشي(السُّجُق(٢))

(١) المتليك : قطعة من العملة تساوي ربع قرش .
(٢) السجق : مصارين الخراف المحشوة باللحم .

وبعد العز بئس العيش جوعا ... أفضل عن حياة الجوع شنقي
ولا حلوى بها أشفي سقامي ... فهل يرضى بهذا (بكر صدقي)
وها أنا أطلب الانصاف مما ... عراني حيثما قد ضاع حقي
فكن عوني على الأيام كيما ... أخفّف (تتفة) من ضيق خلقي
ومر لي ياأبا العليا برز ... وأقة سكر لأسد حلقي

الدين نصيحة

كان لي صديق عزيز توفي وخلف غلاما اسماه «نجاة» فنشأ هذا الغلام بعد موت أبيه في حضن والدته وهو ذكي الفؤاد جميل الصورة خفيف الروح وبعد ان أنهى دروسه الابتدائية لم يقدر على اتمام تحصيله فاضطر للعمل ولما صار في ريعان الشباب وظهرت فيه خفة الروح حام حوله « أبناء آدو » وصار يخرج ليلا من داره فيقضي السهرات خارج البيت ووالدته عجزت عن ردعه فكلفتني أن أسدي له النصيحة فكلمته مرات فلم يرتدع فأرسلت له القصيدة الآتية عسى أن يعتبر بها .

ان كان نصحي به لوم فلا عجب ... فأنت من ولدي والله يحميكا
وغير صحب أبيك اليوم لست ترى ... في الكون شخصا بلانفع يواليكا
(نجاة) مهلا وفكّر دون ما غضب ... ولو سمعت كلاما ليس يرضيكا
(نجاة) اني أخاف القيل في بلد ... أبناء عمك فيها من أعاديكا
كزهرة أنت تبدو من كمامتها ... نسيم قيل به البهتان يؤذيكا
أراك في الليل كالوطواط مضطربا ... لاتستقر على غصن بواديكا
وأنت في كل يوم تابع فئة ... في العمر والقدر والاموال بذوكا

(نجاة) صحبة غير الكفء مفسدة ... من بعدها العار ربي منه ينجيكا

وصاحب الكفء يبقى العمر محترما ... ان سيدا كان أو ان كان صعلوكا

وان صحبت فتى أخلاقه فسدت ... حتى الأحبة في ذا الألف لاموكا

فاحرص على شرف مثل الزجاج اذا ... شعرته ليس تلقى من يواسيكا

وقول كلثومنا العتبى فيه لنا ... جميعنا عبرة والله يهديكا

« يوم يعيذك من سوء تقارفه ... أبقى لعرضك من قول يداجيكا »

« وقد رمى بك في تيهاء مهلكةٍ ... من بات يكتمك العيب الذي فيكا »

طـق الحنـك

لما كنت ملتجئا الى عمان وسكنت شونة العدوان في الشتاء أرسلت هذه القصيدة من الشونة الى اخواني في عمان أحمد الشرباتي وحسن كحالة وأحمد الشلبي وعمر العمري وحمدي الصفدي وداوود التكريتي وبهاء الدين طوقان وكان أحمد الشرباتي متعهداً لصيد السمك من العقبة وبيعه في فلسطين .

يامن رماني بالشبك ... وبلحظهِ ستري انهتك
من بعد ما فارقتكم ... جملي بحملي قد برك
النور أضحى بعدكم ... في ناظري مِثل الحلك
يا أحمد الأفعال من ... بعروض دنياه انهمك
اعمل لربك ساعة ... يا ابن الكرام (وساعه) لك
اني بشوق زائد ... قسما بمن رفع الفلك
للقاء صحبي كلهم ... الجامدين ومن حرك
أهل الصبابة والصفا ... ممن تزندق أو نسك
والى سميِّك (احمد الشلبي) ... الحبيب المشترك
وحبيبنا حسن الذي ... يهوى حساء «المرجمك(١)»
وصديقنا (ما غيره) ... عمر « قمندان(٢) » الدرك
وطبيبنا رشدي الذي ... يشفي المريض اذا هلك
ورفيقنا حمدي أبو ... صياح ذاك « الدنبلك(٣)»

(١) المرجمك : العدس أخذناها عن الاتراك .
(٢) قمندان : قائد .
(٣) الدنبلك : الدربكة المعروفة .

انـي أعيش بـدونكم عيش الضفادع في البـرك
فأنـق مـن ألـم الفـرا ق وأنت مثل «الزنبرك(١)»
أصبحت «كالمكّوك(٢)» ما بـين الشـريعـة والكرك
ان لـم تـزرنـي مـرة فـلأنت خـائن دون شك
أثْبِتْ بأنـك فـي طـر يق الحب أحسن من سلك
واحضـر غـدا لزيـارتي وجميـع اخـواني معـك
هاتوا البنادق « والجفـو ت(٣)»وأحضروا بعض«الفشك(٤)»
وأتوا بمـا يحـلو لكـم من لحم ضأن أو « بُرَكْ»
وشـرابكـم ونقـولكم واصحوا ولاتنسوا السمك
وأنـا عـليَّ بـأننـي اشبعكم (طـقَّ حَنَكْ)

---

(١) الزنبرك : كلمة فارسية وقد وضعوا لها كلمة النابض .
(٢) المكوك : تركية آلة للحياكة معروف .
(٣) الجفوت : جمع الجفت : تركية بمعنى البندقية .
(٤) الفشك : تركية بمعنى ذخيرة البندقية الطلقة .
(٥) البرك : نوع من الطعام معروف .

وطني أحببت مجدك

حضرت ليلة ساهرة في «الريستوران فرانسيز» في بيروت ورأيت الشبان يرقصون بكل تخنث وقد حمَّر بعضهم الشفاه مثل البنات، فقلت معارضا قصيدة الاخطل الصغير (عش أنت اني مت بعدك) التي طلب معارضتها آنذاك وعارضها عشرات الشعراء وارسلتها ونشرت في جريدة الاحرار سنة ١٩٢٥ .

يا ابن البلاد هديت رشدكْ ... باللهو قد جاوزت حدَّكْ
ليس التمدن ما أتيت ... علامَ فيه تطيل جدك
والرقص في الحانات اذ ... منطقت خصر الغيد زندك
متماوجين فجزرها ... كيف انثنت اتبعت مدك
تهفو اليك اذا ابتعدت ... بصدرها كي تستردك
هل نهدها المرتج ما قد ... شمته أم شمت نهدك
لم أدر أيكما الفتى ... حتى نظرت عليك بردك
يا من وقفت مع الفتا ... ة تهز كالاغصان قدك
ومشطت شعرك فازدهى ... وفرقته وصقلت خدَّك
وكسرت جفنك مظهرا ... ان الشراب أضاع رشدك
وفخرت في لغة الاعاجم ... هل ترى أنكرت جدك
ووقفت جهدك للفرنج ... مداهنا فأضعت جهدك

عطفوا عليك بقولهم وفؤوسهم تشتق لحدك
أيحب موطنك المقدس من غدا بالفعل ضدك
أعرضت عنه وفيه كانت تغمر الاحلام مهدك

* * *

وطني سأقضي دون مجدك انني أحببت مجدك
أغلقت قلبي دون غيرك فالفؤاد اليك وحدك
اني أحاذر أن أموت جوى ولم تبلغ أشُدَّكْ
ما ساد فيك وان سما حرٌّ اذا لم يُمْسِ عبدك
أنا لا أخاف مزاحماً أفدي عذولا صان ودك
ياليت كل الناس مثـ لمي يحفظون العمر عهدك

من وحي الانقلاب

بعد وقوع انقلاب سنة ١٩٤٩ وسفر رئيس الجمهورية شكري بك القوتلي الى القاهرة ، بعد الافراج عنه قلت :

ياشارباً من كأس غفلتهْ ... قم واستفق فالعمر وهلتهْ
لايخدعنك بالمنى ... دهر" يمُدُّ عليك ظله
الدهر يعبث بالورى ... في لمحة يودي بدولهْ
عبث الوليد بدمية ... كانت على الأيام شُغلهْ
ان شاء قبَّل خدها ... أو شاء حطمها بركلهْ
يعطي ويمنع ليس يس ... توحي بذا أو ذاك عقله
وتراه ان أعطى وان أكـ ... ـدى بلا سبب وعلهْ
لايرتجي مدح امرىء ... بالحمد يكبر منه عدله
هونا ولا يخشى من المظـ ... ـلوم بالحرمان عذله
فلقد تساوى عنده ... بالقدر سلطان ونملهْ
ان جاء دهرك قم له ... أو جار يوما أنت نَمْ لَهْ

يحرث بالرمال

لما كنت في عمان ملتجئا زارني صديقي ابراهيم باشا هاشم رئيس وزراء عمان ورأى عندي ديكا وثلاث دجاجات صغار فأحب أن يهديني كم دجاجة بياضة فأرسل لي أربعا وصدف ان الدجاجات التي أحضرها خادمه كانت مسنة غير صالحة لا للبيض ولا «للحيض» وبعد أن علفتها شهرا ولم أستفد منها أمرت الخادم أن يذبح منها واحدة وقلت ان الدجاجات ليس منها فائدة لعقمها فلنأكلها وذبح دجاجة ونظرا لعتقها فقد بقيت على النار ثلاثة أيام لم ينضج لحمها بالرغم عما اوقد تحتها من نيران .

وقد صدف ان الخادم عندما أحضر الدجاجات كان بعض الاصحاب وهم زيادة عن خمسة عشر رجلا يطرقون بابي وهم يريدون زيارتي ومن الصدفة أيضا أن جاري شمس الدين بك سامي الجركسي كان مريضا وكان الناس يأتون لعيادته بكثرة ولما فتحت الباب ورأيت هذا الجمع من الاصدقاء وزوار جاري الصاعدين منهم الى داره والنازلين منها وهم منتشرون في الجبل حضرتني النكته وقلت للخادم سلم على الباشا وقل له وصلت الدجاجات وهاهم الاخوان الحاضرون وهؤلاء الناس جميعهم مدعوون لعقد نكاح الديك على هذه الدجاجات وقد تشرفت بمصاهرة الباشا وسوف نقدم له المرطبات بعد عقد النكاح ونظمت هذه القصيدة وقرأتها للأمير عبد الله بن الحسين بحضور ابراهيم هاشم وقضينا عليها سهرة لطيفة :

أخي ابراهيم ياربّ الكمال ... ويازين المحامد والخصال

هديّتك اللطيفة حين جاءت ... رأيت الناس تركض في الجبال

وأهل الحيّ في هرج ومرج ... ولعب السيف والسُّمر العوالي

ولم ترد الهدية حين قاموا ... بهذا العرض ياباشا ببالي

ولكن عندما وقفوا ببابي ... ودقوه قبضت على سبالي

وقلت مفكرا ماذا دهاني ... وما للقوم ياربي ومالي
ظننت بأن «طارق»(١) قد أتاني ... بشرطته وغايته اعتقالي
أو الأهلين قاموا باحتجاج ... على ذنب أتيت من الفعال
وبعد تردد مني قليل ... فتحت الباب منكمشا بحالي
ولكني سررت وقد أتتني ... دجاجات كربات الحجال
فقمت مرحباً بالناس حالا ... وكنت خطيب ذاك الاحتفال
وقلت لديَّ يا اخوان ديك ... جميل الشكل يُزري بالغزال
بديع الصوت من أصل ذكي ... تحدر من دجاج بني هلال
وليس له بعمان شبيه ... تربَّى بالرفاهة والدلال
له عرف هو المرجان لونا ... كتاج صيغ في شكل الهلال
وعفرته اذا رصَفت حسبتم ... شعاع الشمس يرصف باللآلي
فان يقبل تبختر باعتزاز ... وان يدبر تهادى بالدلال
وان غنى فصوت لايبارى ... «كثومة(١)» حين تشدو بالليالي
يؤذننا قريب الصبح دوما ... ويوقظنا لنعبد ذا الجلال
فان هيجته قل عنه نسر" ... قويٌّ مستعدٌّ للنضال
تراه أدار عفرته فصارت ... كدرقة فارس عند النزال
يصفق في جناحيه سرورا ... لطرد الخصم من بعد القتال

---

(١) طارق بك الجندي مدير شرطة عمان آنذاك .

(١) ثومة : أم كلثوم كوكب الشرق وبلبل العرب .

لـه عـين صفت كصفـاء قلبي لأوطـاني على مـر الليـالي

* * *

ولمـا كان هـذا الجمـع جمعا عظيمـاً ضم أخيـار الرجـال
وأحسن مـن أصـاهره بحـق هو (ابراهيم باشا) ذو المعـالي
فقـد انكحتهـن الديك جهـرا ليـأتي نسلهـن بني حـلال
معجل مهـرهن عظيـم شكري وحمدي للمؤجل وهـو تـالي
ليحصـل عندنـا منها فـراخ كـرام الأصل من عـم وخـال
وأهـلاً بالألى قـد شرفونـا مـن الاخوان في خير احتفـال

* * *

فـراح الناس يثنـون ابتهـاجاً بما لاقـوه مـن حسن المقـال
وحين بقيت في داري لوحـدي وراح القـوم من تلك (الحوالي)
ولاحظـت الدّجـاج به هـزال برغـم الريش يبـدو كالخيـال
فَرُزت دجاجـة وعجبت جـداً لمـا لاقيت مـن أثـر الهُـزال
وعـاينت البقيـة فـاعتـراني دوار منـه قـد ضاق احتمـالي

* * *

وقلت أهن مـن صحراء سينـا أتـين يـزرنني قبـل الـزوال
ورحت أحيطهـن بـكل عطـف كما تحنو الشياه على السخـال
خـزنت لهن عنـدي ألف كيس من البر (الصليب) الى (النُحال)
ومـن عظم الى صـدف ولحـم ومن صافي الدماء الى الطحـال
واشكـال يـزيد المُحُّ منهـا واخـرى للقشـور وللزلال
واني أشبـع الغـرثى وحـالي أرق مـن الهبـايا ويح حـالي
وفـي شهر عـلى علف نظيـف صرفت وحق ذقنك نصف مـالي

وصار الديك ينزو كل يوم ... من الصبح المبكر للزوال
له في كل يوم ألف (بكٍّ) ... ينط على الجميع ولا يبالي
ومع هذا فلم يحملن منه ... كأن الديك يحرث بالرمال
يقاقين الصباح بدون بيض ... وما نفع الدجاج بلا نوال
من الطوفان من أيام نوح ... قطعن الحيض في الحُقَب الخوالي
ذبحت دجاجة فرأيت لحماً ... قديداً لا يُقطَّع بالنصال
وقَدنا النار تحت القدر حتى ... سئمت العمر من كثر الملال
وقَدت على الدجاجة طن فحم ... ونصف الطن من حطب الدوالي
وما في الدار من خشب وغاز ... وسعر الغاز في عمّان غالي
نهار ثم آخر ثم تالٍ ... ثلاثة أنهر غير الليالي
غلامي أوقد النيران دوماً ... بلا نوم فضجَ من الكلال
ومع هذا فلم تنضج كأتّا ... نحاول طبخ زوج من نعال
أقلني يا أخي الباشا عثاري ... وخلصني بلا قيل وقال
فجد كرماً عليَّ بطن فحمٍ ... ومن علف الدجاج (بكم شوال)
والا خذ دجاجك عن (سمائي) ... فقد أفلست يا ابن الحلال
فجسمي خانه صبري فأضحى ... على جلدي قليل الاحتمال
فان تَحْبُ الدجاج به هزال ... فاني كم حبوت من الجِمال
وحرماني من اللذات دهرا ... أحب اليَّ من ذل السؤال

وقد أرسل لي بعدها عشر دجاجات من أبدع الدجاج .

الى رجالات العرب

وقلت في عمان بعد اعلان الحرب بين ألمانيا وبولونيا في ١٩٣٩/٩/٥ وقد أرسلت منها نسخا الى امراء العرب وملوكهم بوسائط مختلفة ومع شديد الاسف لم أتلق جوابا من أحد وقد قرأت القصيدة على الامير عبد الله ابن الحسين بنفسي وذلك اننا كنا في سهرة حافلة في المقر العالي فأخذ الأمير يشكو من سكوت العرب في هذا اليوم وتقصيرهم بما يجب عليهم ازاء هذه الحرب وكان في جيبي نسخة عن القصيدة التي حوت أكثر ماكان يشكو الأمير فأخرجتها وقلت أيسمح لي مولاي بأن اسمعه هذه القصيدة التي حوت أكثر مايفكر به قال قل . فقلت :

علام قومي في نـوم وفي كسل ... والغرب كاد ينيخ الرحل في زحل

فالغرب والعُرب هذا سائر" صعدا ... أما أولاء فما زالوا على الجمـل

فالطـائرات نراهـا في تقدمهـا ... تكاد تحتـل حتى دارة الحمـل

نرى الفرنج أجادوا كل نـاحية ... درسا وهم عن غثيث القول في شغل

ومنهمو من يقضّي العمر منصرفا ... للاختراع بـلا كـلٍّ ولا ملـل

هـذا يعالـج بـلورا ليجعـله ... للناس لبسا بديل القطن في الحلل

وذاك يعمل في (راديو) يُحَسِّنُهُ ... كي يجعل الصوت مسموعا بلاخلل

وغيره يدرس الامراض مكتشفا ... مصلاً ليشفي به العلاّت بالعلل

والكهربـاء أتوا فيهـا بمعجزة ... بل معجزات تثير العُجب في الرجل

ونحـن نحن أعزّ الله شأنـكم ... سلالة المجـد من بكر ومن ثعل

ودارنا في ذرى العليـاء من مضر ... نحمي حمى المجد بالاقوال لا العمل

* * *

قد خصنا الله دون الناس كلهم ... بالحقد والكيد والبغضاء والجدل
تبجح وادعاء فيه غطرسة ... نعيش بالوهم والتضليل والكسل
وكلنا بطل والله يحفظنا ... لكننا ليس فينا اليوم من بطل
سبعون مليون رأسٍ كلنا عرب ... وكل رأسٍ رئيس القوم كالبصل
لذاك صرنا عبيدا في مواطننا ... تجتاحنا أي ما شاءت من الدول
ألا نحسُّ بوخز في ضمائرنا ... مما نعانيه من فقر ومن علل
ألم نكن نحن والاتراك في وطن ... اخوان بؤس ندير الملك بالخطل
في ظل مملكة كانت كمأكلة ... تساس بالجهل والاطماع والحيل
وعندما فارقونا رغم قلتهم ... بالاتحاد غدوا في أول الملل

* * *

من دون جيش ووحدات منظمة ... لاخير في أمة تبكي على طلل
فوحدوا صفكم وامشوا بنا قدما ... ونظموا جيشكم في السهل والجبل
ان لم نكن كتلة فالحرب تهلكنا ... والشر للشرق في الاحزاب والكتل
فالحرب قد نشبت في الغرب واتقدت ... وسوف تأتي لنا بالحادث الجلل
يا أيها العرب أنتم دائما هدف ... للفاتحين وما في الضعف من أمل
وهذه الحرب ان حطّت مراجلها ... ونحن بالضعف باد العرب للأزل
ان الضعيف مهان في مواطنه ... وان تكاثر عداً عاش كالخول

* * *

أليس يوجد بين العرب ذو ثقة ... يدعو لمؤتمر حالاً على عجل

ليدرسوا حالة العُرب الذين نسوا معنى الرجولة من حافٍ لمنتعل
ويجعلوا بحثهم في كل ناحية من غير دس ولا ختل ولا دخل
حتى اذا ما رأوا رأيا بلا خطل خطّوا لنا خطّة تنجي من الشلل
نمشي عليها كمشي الغرب في وضح من النهار واياكم من الجدل
بالاتحاد وفي تحديد موقفنا بسرعة تنقذ الاوطان بالعمل
وهذه فرصة والله ما سنحت أمثالها لبني عدنان من أزل
اني نصحت وها أني أناشدكم أمانة الله بالاوطان والرسل
وان عجزتم سألت الله يرحمنا فنحن موتى وان عشنا مع الملل

قلبي مرتـع الغزلان

تأخرت عن عادتي بزيارة الأمير طلال فأرسل لي غزالا مذبوحا في أحد الايام بعد عودته من الصيد فأرسلت له هذه القصيدة في سنة ١٩٤٠ .

هديتـك اللطيفـة يا طـلال ... بهـا معنى يقـدره الرجـال
أتتني مـن سموك في زمـان ... بـه الاحرار حظهـم النكال
فانعـم بالهـدية مـن أمـير ... تكوّن مـن شمائله الكمـال
فيازين الشباب فدتـك نفسي ... وأهـلي والأحبـة والعيـال
اذا قَصَّرت نحـوك لاتلمني ... فهمّي ليس تحمـله الجبـال
فمالي عن رحابك من بديـل ... ولو ان البديل هـو الهـلال
فلا يغضبك تصـريحي برأيي ... سكوتي عن جريمتكم ضلال
أ أملأ معدتي من لحـم ظبيٍ ... وفي ألحـاظه ضُرب المثـال
اذا الغـزلان صادتها أسـود ... فكم ذا صـادني منهـا غزال
فلو أهديتنيـه اليـوم حيـاً ... لمـا لعبت بجثتـه النِّصـال
وكـان اليوم عندي في أمان ... تحوط به الكرامـة والدلال
وكنت جعلت مسكنـه فؤادي ... وفي حركـاته رتع الخيـال
لشدة شبهـه بحبيب قلبـي ... فهـل فيما صدقتك ما يقـال
فقلبي مرتع الغـزلان أضحى ... وعين الصَّب مرتعهـا الجمال
فحاذر أن تصيد العمر ظبيـاً ... غريرا فالعيـون بهـا نبـال
وصد ما شئت من طير الحباري ... وعش للعرب ذخرا يا طـلال

وبعد أن قدمت له القصيدة وعدني انه بعد هذا اليوم لايصيد الغزلان .

في عمّـان

فررت من دمشق خوفا من الافرنسيين الذين وضعوا عمـدا سلاحا حربيا في كاراج داري في قرية الجرباء ليسجنوني بسبب ذلك . فهـم وضعوا السلاح وهم صادروه وذلك يوم الثلاثاء في ١٦ آب ١٩٣٩ فاختفيت عندما بلغني ذلك في دار أحد أصدقائي ويوم الجمعة في ١٨ منه، غادرت دمشق الى درعا فوصلتها قبيل الصبح ومن هناك بدلت السيارة ودخلت منطقة شرقي الاردن والتجأت الى قائد مخفر الرمتا وبعد المخابرة مع مساعد القائد العام عبد القادر باشا الجندي أخذ مني قائد المنطقة مائة وعشرة قروش وهو الجزاء القانوني الذي يتوجب على كل من يدخل المنطقة بلا تصديق جواز سفره فصدق على جوازي وسمح لي بالسفر الى عمان فوصلتها في الساعة الحادية عشرة من صباح يوم السبت الواقع في ١٩ منه ولما لم يزرني أحد من قبل الامـير عبد الله عزمت على عدم زيارته لأن محيطه كان من الذين يميلون الى الجبهة الشعبية في دمشق وجميعهم يعادون رجال الكتلة الوطنيـة وأنا معدود منهم وقد فهمت أنهم اوغروا عليّ صدره ولما كان بودي الذهاب الى العراق قلت في نفسي بما ان الأمير لم يسأل عني وانا معدود من أنصار البيت الهاشمي فلا لزوم لطرح نفسي عليه ولكن الاحقاد لعبت في نفوس أذنـاب المستعمرين وأبلغوه عني أشياء لم أفكر بها وساعدهم على ذلك تمنعي عن زيارة الأمير وقد اتخذوا من ذلك أسبابا للدعاية ضدي فأوقعوا بي وتخرصوا عن لساني بأقوال لم أقلها أو حرفوا منها ماشاؤوا حتى غضب الأمير عليّ غضبا شديدا وأصدر أمرا يمنع الناس من مخالطتي وقد ظن الأمير بي الظنون الكثيرة وكان من أثر ذلك أنه أمر صديقي السيد بهاء الدين طوقان بالغاء الدعوة التي كان أقامها لي واذا لم تلغ الدعوة فانه يطرده من الديوان وكان موظفا في ديوان الأمارة وقـد حار الرجل في أمره وأفهمني السيد حمـدي الصفدي ذلك فاعتذرت من طوقان عن الذهاب الى الدعوة بوعكة مصطنعة وحلّت المشكلة ولكني لم أكد أمشي في السوق حتى تعقبني أحد رجال الشرطة ببزتـه الرسمية وجعل يقف أينما أقف ويسير أينما أسير فلم أحفل بـه وجعلت أفتش عن سيارة تسير الى بغداد لأرحل عن عمان وبينما انا كذلك اذ بمدير الشرطة السيد طارق الجندي يدعوني الى دائرتـه فذهبت الى مقابلته

فأبلغني انه لايحق لي مغادرة عمان الا بأمر من الحكومة فقلت له يعني أنني موقوف لديكم ، قال : لا . ولكن هكذا أرادت الحكومة وهذا مما لاشأن لي به وانما انا ابلغكم اوامرها فقلت لابأس ولكن قل لسمو الأمير ماقاله الشاعر ... اذا كنت مأكولا فكن أنت آكلي – وقل له أيضا انني أفضل ألف مرة أن أسجن عند ابن الحسين حفيد النبي من أن أسجن عند الافرنسيين الذين احتلوا بلادي بالقوة . وبعد يومين رأيت ان الاشاعات الملفقة تدور حولي بكثرة وأصبح كل من يريد التقرب من الامير يرى أن الوسيلة الى ذلك الايقاع بي والتقول عليّ حتى أن السيد حمدي الصفدي لم يعد يتحمل هذه المهازل فذهبت الى رئيس الوزارة وهو يومذاك السيد توفيق باشا أبو الهدى وبعد البحث الطويل وجدوا أن أحسن طريقة لحل هذا الأمر الذي كاد أن يكون مشكلة دولية لسخافة عقول الموقعين بي والمستمعين لهم وقد كانت الطريقة هي أن أذهب الى الديوان وأقيد اسمي وأعود الى الفندق وبعدها يأتي رئيس الديوان الى الفندق فيرد زيارتي ثم بعدها أزور سمو الأمير وعلى هذا الشكل الذي اتفقنا عليه سرت الى الديوان وزرت رئيس الديوان وهو يومئذ محمد باشا الأنسي ورجوته أن يقيد اسمي في دفتر الزيارة ورحبوا بي ترحيبا لائقا وبعد تناول القهوة ودعتهم وخرجت ولما صرت عند الباب الخارجي وجدت صديقي الشيخ فؤاد باشا الخطيب آتيا من خارج الديوان فسلم علي كعادته وأخذ بيدي وأعادني الى الديوان للتحدث معه واذ بأحد المعية يقول ان سمو الأمير يطلبني فلم يعد بالامكان الا الدخول فدخلت عليه وقام ورحب بي قائلا ماهذا يافخري ليس هذا أملنا فيك فقلت ياسيدي أنا أعدّ من العائلة ولم أر أحدا ممن في معيتكم يعيرني أي التفاتة تشجعني على المجيء فانقطعت عن الزيارة خوفا من أن يكون في قلبكم نحوي شيء مما بلغوكم اياه افتراء فأجابني انني لا أعتقد بما أسمع ولا أصدق أحدا وجميع ما نقل اليك هو كذب لم يبلغني مجيئك الا في اليوم الثالث . فقلت ياسيدي أطال الله بقاءكم فاذا أنا لم أدل على أهلي فعلى من أدل وليس هذا الا من باب الدلال فقام اليّ وقبلني ثانيا وهو يقسم أنه يحبني وانه لم يعر اذنه الى أحد وطلب اليّ أن أنسى ما جرى ودعاني لتناول العشاء في غدذلك اليوم على مائدته فشكرته وودعته وخرجت . وخوفا من أن يستفيد سيئو النية من أهل الغرض فيوقعوا بي عند سموه ثانية نظمت هذه القصيدة وفي مساء يوم الدعوة ذهبت الى المقر ولما تم تناول الطعام قلت ياسيدي انني نظمت قصيدة فهل يسمح لي مولاي بقراءتها فقال تفضل ، فقلت ، وذلك في ٢٢ آب سنة ١٩٣٦ :

لجأت لعمان فرارا من الاذى ... وخوفا من التوقيف عن غير طائل
وغادرت أرض النيربين مودعاً ... ربوعا بها خلّفت خير منازلي
ربوعا بها لاقيت كلّ كرامة ... كما انني لاقيت كلّ تحامل
فررت من المحتل ظناً بأنني ... ألوذ بعبد الله زين الشمائل
فيمنعني من أن أضام بقربه ... ويحمي ذماري من جميع النوازل
ولما أنخت الرّحل في ظل دوحهِ ... وقبل ارتياحي من عناء المراحل
تخرّص أعدائي بما لم أقل به ... وأشياء عني لم تدر في مخايلي
أرادوا بذا اقصاء فخري عدمتهم ... عن الدوحة الغرّا بشتى الوسائل
فقلت بنفسي دعهمو في عماهمو ... فمن عادة الايام كشف الحوائل
ولا بد أن يدري الأمير حقيقتي ... بعاجل يوم أو بآخر آجل
وبينا أنا في ذا أفكر هالني ... أمور تسيء النفس هزّت مفاصلي
وذلك اني قد دُعيت بسرعة ... الى مركز (البوليس) دعوة عاجل
دعاني رئيس الشرطة العامل الذي ... يُنفّذ أمر الحكم دون تماهل
فرحت مع الشرطي أمشي ازاءه ... وقلت بماذا ياترى اليوم سائلي
دخلت فحياني بكل تأدب ... وبلغني باللطف دون تساهل
لزوم بقائي ضمن عمان برهة ... كأني موقوف بتهمة قاتل

* * *

وقال قضى أمر الحكومة منعكم ... من السفر الوقتيّ خوف المشاكل
سكت قليلا حيث دار بخاطري ... تشبث أعدائي بكشف مقاتلي

وقلت أهذا الفعل فعل رجولة ... أليس لدينا غير قيل وقائل
أنحن نساء مالنا من مزيةٍ ... سوى الدَّس والتلفيق ضمن المنازل
ودعوى بلا جدوى وتهشيم بعضنا ... بدون حياء وهي شر المهازل
سوانا يقضي الوقت يدأب جهده ... بطائرة تجتاح أقوى المعاقل
واصلاح منطاد واحضار آلة ... تقي الناس في الهيجاء هول القنابل
ونحن على الأوهام نبني صروحنا ... أفي مثل هذا كان شغل الأوائل
وعُدت لنفسي بعد ذلك قائلا ... سكوتيَ بعد اليوم لابد قاتلي
فان لم أبادر دون أدنى تأخر ... لمولاي عبد الله رب الفضائل
فأخبره عن قصتي ومصيبتي ... وما حيك حولي من شراك الحبائل
سأصبح سندان الوشاة وربما ... غدوت حديثا سائرا في القبائل

* * *

اليك أمير العرب مني رسالة ... معطرة تعمي عيون العواذل
فتخبركم أني صديق لفيصل ... بحبي ودِّليِّ اليوم بعض الدلائل
وما حَرَدي الا فتور ظننته ... من الجانب العالي به سُرَّ عاذلي
وانك لاترضى لمثلي اهانة ... دخولي لعمان كبعض الارامل
خصوصا واني من صحابة بيتكم ... حفظت وداداً عهده غير زائل
فان كنت موقوفا لديك فمرحبا ... وان كنت مأكولا فكن انت آكلي
فهل انا الا من صحابةِ هاشم ... وهل انا الا ضيف نخبة وائل
واني سأبقى ماحَييت نصيركم ... اعطّر باسم الفضل شتى المحافل

ولم أكد أتم القصيدة حتى قام وقبلني وقضينا سهرة لطيفة وودعته وخرجت وبقينا على الصحبة طوال مقامي في عمان .

بشير الأنس

أقام معهد الفنون الجميلة في بغداد حفلة في قاعة فيصل وهي حفلته السنوية وذلك مساء الخميس الواقع في ٢٩ نيسان سنة ١٩٤٣ فحضرت الحفلة وسمعت الطلاب واعجبني منهم طالب من طلاب الصف السادس المنتهي وقد عرفني به الشريف محي الدين رئيس المعهد وهذا الشاب هو السيد جميل بشير وقد طربت لعزفه سماعي جديد لم أسمعه من قبل لحنه جميل واسماه سماعي ديوان فقلت :

(جميل بشير) انك سوف تغدو ... بشير الأنس بالفنِّ الجميل
اذا داومت سعيك باطِّراد ... على استاذك الفذّ النَّبيل
قليل في البلاد اذا عددنا ... عباقرة الفنون بكل جيل
و(محي الدين) كنز العرب منهم ... هو الترياق للفن العليل
لقد منَّ الزمان به علينا ... وهذي نعمة المولى الجليل
وهذي فرصة فلنقتنصها ... فمنها ما بقوميَ من بديل
فلازمه ولا تتركه يوما ... من الصُّبح المبكر للأصيل
وكن كالظِّل متَّبعا خطاه ... فنجم الشيخ قارب للأفول
وحاذر أن يغرَّك أي مدح ... واطراء من الجمع الجهول
ومن جهلوا مقامات الأغاني ... وايقاع الخفيف من الثقيل
فما تصفيقهم مهما تعالى ... على حسن الاجادة بالدليل
و « ديوان السماعيّ » فيه روح ... بديع السبك أحرى بالقبول

فان تبغي مقاما دون «مشق» (١) وذا يحتاج للزمن الطويل
عن الأشياخ خذ من كل نوع وفرعٍ «بَسْتَةً (٢)» قبل الرحيل
« ودوِّنها » خصوصا ماطوته يد الأيام لاتك بالملول
ففي النغم القديم لنا تراث عظيم الشأن جلَّ عن المثيل

* * *

ومافي كثرة الآلات فخرٌ ولا فيها شفاء للغليل
فدع عزف الكمان لبعض وقت ومَتِّنْ ضرب عودك (عالقليل)
وشغل الذهن في شيئين مضنٍ لمن يختصُّ بالفن الأصيل
وموسيقى الأجانب دع هواها وسر في نهج قومك للوصول
الى أوج العلى بالفن حتى يقال غدا جميلٌ في الفحول
ولكن بعد ماتضحي فريدا بعودك في المقام وفي الاصول
فخذ ماشئت من نغم وضرب عن الأفرنج تلعب بالعقول
وشجِّع من به للفن ميلٌ ولاطف أهله رغم العذول
وخذ عني وصاة أبٍ شفيق جميلٌ بما يليق من القبول

---

(١) المشق في بغداد عند الموسيقيين يعني التمرين على العزف .
(٢) البستة : الأغنية بالعراق .

لغـز

وقلت ملغزا في عسل النحل :

أي مخلـوق عجيـب ... مـادرى معنى الأمـل
عـمره يقضيـه دومـا ... بـين جـد وعـمـل
في رياض الزهر يلهـو ... وغـذاه بـالـقبـل
وبـه نفـع وخـير ... ضربـوا فيـه المثـل
اقلب اِسم اللسع منـه ... فترى اسمَ النفـع ظل
واسمـه بالعكس يبدو ... وقـع لـحـن لايسـل

ويـل للعروبة من بنيها

لمـا طال بي الحال في عمان وانقطع الطريق بين دمشق والاردن أرسلت لطـه باشا الهاشمي كتابا أطلب فيه التطوع في الجيش العراقي وقد بلغني أنهم يشكلون فرقة عربية تجمع شبان العرب يحضرونها خوفا من الطوارىء فلم آخذ الجواب وكررت الكتابة فلم يجب فقلت :

أخي طـه كتبت الـيك أرجـو ... قبـولي فـي التطـوع للنضال
وكـررت الكتابـة غـير أنـي ... حرمت مـن الجواب على سؤال
وهذى الحرب قـد دارت رحاها ... وصار الحـكم للسمر العـوالي
فـان نقبـل وان نـأبى فانـا ... بـلا شـك سنـدفـع للقتـال
لأن الحرب ليست غـير صيـد ... يصـاد بهـا الضعيف بلا جدال
ومـا المقصود منهـا في البرايا ... سوى أمثالنـا أهـل الخيـال

رضينا بالقيود بلا حياء ... كأنا قد خلقنا للنكال
ترى الأقوام في كل النواحي ... يعدون الجنود الى النزال
ونحن برغم كثرتنا انفرطنا ... كعقد لآلىء بين الرمال
سوانا للأمام مشى ويمشي ... ونحن كأننا بول الجمال
فأصبحنا وليس لنا كيان ... كأنا لانعد من الرجال
وفي القطرية العمياء كدنا ... نضيع الملك في قيل وقال
فان لم ننتبه ونعدّ حالا ... معدتنا لأحداث الليالي
هلكنا والاله بنا عليم ... بأنا سائرون الى الزوال
فويل للعروبة من بنيها ... اذا ظلت بهذا الانخذال

من غيري أهل للهوى

المرحوم عبد الحميد المالح المعروف بعبد الحميد باشا كان من أعز أصدقائي أخف الناس روحا وكنا نقضي واياه أياما وليالي في البسط والانشراح وكنا نختلف ونتشاجر في بعض الاوقات فننقطع عن بعضنا أياما ثم نعود ، ومرة مزحت معه مزاحاً قوياً فقاطعني وأطال هجري فأرسلت بعض الاصدقاء للاستفسار منه فعادوا وبلغوني انه شديد الغضب ولا يمكن أن يصفح عني أبدا لاني قلت عنه كما بلغه الواشون انه دنيء سافل وقال : الا يعلم فخري اني من عائلة شريفة فاضلة وقال انه يعلم من أسراري أشياء كثيرة ولكنه لايبوح بها لانه يحبني حبا صحيحا فقلت هذه الابيات وأرسلتها له فعاد وعدنا الى صداقتنا :

رويدك ياعبد الحميد وسر مهلا ... فانيَ أدري ان في أهلك الفضلا
اتقلب جدا ماهزلنا به اذاً ... فرأسك من سخف لقد طلق العقلا
أتغضب مني والدعابة عادتي ... ولم أتجاوز معك في عمري الهزلا
قضيت زمانا في تصافي ودادنا ... تروح وتغدو والعمر (بالأهلا والسَّهلا)
وكم مرة فيها اختصمنا وبعدها ... رجعنا ولم نجتز بغضبتنا القولا
تقول بجد أن حبك مفرد ... وانك بالاخلاص في الموقع الأعلى
وانك تدري السر سري حقيقة ... وفي الصدر تخفيه وتكتمه فعلا
فان كنت تدري مايشين بسمعتي ... وتزعم أني في محبتكم أولى
وانت حبيبي لِمْ سكتَّ ولم تكن ... صريحا فتهديني لما يدفع الويلا
تقول بأني مسرف هل ظننتني ... سأبقي عقيب الموت في «جيبتي ملا»[1]

(١) الملل في النقد الفلسطيني هو ما يعادل القرش في النقد السوري.

بعمري لم أحفل بشيء جمعته ... لنفسيَ زاد المال في الجيب أم قلا
وما دام عرضي سالما لا يهمني ... اذا عَرَض الدنيا بأجمعه ولّى
أجبني بحقي إن تركت زيارتي ... وزدت على قلبي النكاية والدلا
أتقدر أن تخلي فؤادك من جوى ... تمكن حتى كاد يورثك الخبلا
فيازينة الأصحاب عد لي مواصلا ... فما كان غيري في الهوى للهوى أهلا

تخشى من الحبل

كان لي صديق من السياسيين انقلب عدواً لي بلا سبب غير الغيرة والحسد فقلت فيه :

(أبو فلان) بهذا العصر متصف ... لدى الرجال بنقص العقل والجدل
أضاع بالحمق اسما كاد يرفعه ... للمجد بين بلاد العُرب والدول
كم ذا ادّعى خدمة الاوطان في خطب ... رنت لشدتها في السهل والجبل
ان كان مايدعي حقا عليه اذن ... أن يقرن القول هذا اليوم بالعمل
يروم نيل المعالي دون تضحية ... من غير جود ولا بذل ولا بدل
يفر عند اشتداد الخطب منهزما ... في كل معركة جبنا بلا خجل
لكنه رغم هذا الجبن ذو طمع ... بالمجد يطلبه بالدس والحيل
شبّهته بفتاة كاعب ولعت ... بال (شيء) لكنها تخشى من الحبل

دفع البدل

وقلت وقد أرسلتها من موضع المغارة الى بكري افندي الهبل :
في ١٤ كانون الاول عام ١٩١٥ وبئر المغارة في صحراء سيناء موقع فيه سبع آبار بينه وبين موقع الجفجافة ست ساعات والقصيدة وصفت بها حالتي وكنت ضابطا في الجيش العثماني سافرت مع فوج لمحافظة صحراء سيناء وكل فصيل من قطع الفوج ارسل الى ناحية من نواحي الصحراء وانفردت القطع من العريش الى قلعة النخل وكانت ناحيتي بئر المغارة فقلت :

بلِّغ العمَّ أبا بكر الهبل ... ان فخري «للمغاره(١)»قد وصل
ثم هنئه كثيرا حيثما ... قبلوا العام له دفع « البدل(٢) »
وكذا ياريح روحي بلغي ... عن شقاء التيه أو ما قد حصل
ان أرض التيه قفر بلقع ... ان مشاها المرء يعروه الكلل
كم قطعت السهل والحَزْن بها ... كم صعدنا جبلا بعد جبل
ليس للانسان فيها أثر ... لا ولا فيها لراجٍ من أمل
غير خلق لست أدري وصفهم ... أوحش الاقوام قد عاشوا همل
ليس فيهم صورة مقبولة ... عيشهم أشقى حياة من جعل
قبلنا في الارض من دنياهم ... لم يروا خلقا سوى شكل الجمل
ليس في التيه بلاد لا ولا ... في نواحيه أبا بكر طلل

(١) المغارة : موقع في صحراء سيناء وهو سبع آبار .
(٢) البدل : هو المبلغ النقدي الذي يدفع للحكومة مقابل الاعفاء من الخدمة العسكرية .

يا لتلك الارض من أرض فما ... جازها الانسان الا واختبل
أو قضى الاسبوع في أنحائها ... عاد منها يرتدي ثوب العلل
سقر منها استمدت حرها ... ونهار المرء يقضى بالشلل
وأخوك العاجز الداعي فكم ... (قتلة[1]) من بردها ليلا أكل
قملها كالنمل في وِفْرته ... كل «قمله» ياأخي قدر «الدحل[2]»
فمن «السبع[3]» الى بئر «الحفير[4]» ... ذقت أهوالا بها دمّي مصل
«والقُصَيْمة[5]» مع بئر «المواسير[6]» ... فيهما النحس مع التعس نزل
«والحظيرة[7]» فـ«الحَسَن[8]» ويحهما ... من ربوع عنهما الخير رحل
اقرأ الكتب وأسفار الألى ... سلفوا أوما الينا قد وصل
لن ترى للزرع من ذكر بها ... زرعها من عهد نوح قد محل
وبها ربيت ذقني للدفا ... وبرأسي الشيب من حزني اشتعل
لاتسلني كيف قد جئت لها ... مكرهاً كان أخاك لا بطل

---

(١) قتلة : أهل دمشق يقولون للمضروب بالعصا أو السوط أكل قتلة ويقصدون بها الضرب .

(٢) الدحل : هو كرة من الحجر أو الزجاج يلعب بها الاطفال وتسمى كلة .

(٣) السبع : بئر السبع موقع في الصحراء وهو معروف .

(٤) الحفير : بئر في الصحراء .

(٥) القصيمة : «

(٦) بئر المواسير : «

(٧) الحظيرة : «

(٨) الحسن : «

لـو وصفت التيه وصفـا لائقا ... لاعترى « الأبْعَد» من قولي خبل
لعنـة الله علـى أرجائـه ... دائمـا ماطـار طـير أو نـزل
يـارعى الله دمشق الـشام مـن ... جنة بالخـير خصت (من أزل)
كـل مـا فيهـا بديـع طيـب ... وجـواد الأنس فيها قـد صهل
يـا لفخـري انني مـن أهلهـا ... وبهـا قومي وربعي والخـول
كـم بهـا هيفـاء كالشمس اذا ... ما ا نثنت بالغصن ازرت والأسل
كم بهـا ظبي سبى أهـل النهى ... عند هز الخصر أو رَجّ الكفـل
روضها النامي علـى غـدرانها ... في البرايـا أصبحا ضرب مثـل
كم قضينا مـن أويقات الصفـا ... في ربـاها حينما الدهر عـدل
كم نصبنـا شركـا في دوحهـا ... لاصطياد الغيـد ربات (الدلل)
مذ تـركت الشام أبكي بعدهـا ... فلعلـي أرجع الشـام لعـل
وتحيـاتي ختامـا صغتهـا ... لأبي بكـر بهـا عشـر قبـل
وليعشْ في الشـام نشوان وان ... شاء يبقى في الهوى دوما (سُطَلْ)(١)

(١١) سُطَل : أهل الشام ومصر يقولون للحشاش اذا شرب الحشيش وضاع رشده هذا مسطول والقصد هنا اذا شاء أبو بكر أن يبقى عمره مسطولا .

قلبي مدبــول

كنت اتوسط لدى الأمير عبد الله بن الحسين راجيا تعيين عمر زكي الأفيوني باحدى الوظائف ووعدني بذلك ولكنه تأخر عن اصدار الأمر بالتعيين فذهبت للمقر الأميري عدة مرات ولم أتمكن من محادثة الأمير لكثرة زواره فأرسلت الى الشيخ فؤاد الخطيب هذه القصيدة :

أخي فــؤاد ذهبت الامس منتظرا ... لقيا الأمير ولكــن كان مشغولا

وقبل ذلك للديوان جئت ولــم ... أجد مجالاً لعرض الحال مقبولا

وقبلها زرتــه في القصر مقتنصا ... من وقتِهِ ساعــة أبدى بها قيــلا

فلم أجــد فرصة اذ كان مجلسه ... مــدى الزيارة بالزوار مأهــولا

حتى يئست لسوء الحظ من عمل ... بالفعل أحسب نفسي عنه مسؤولا

وصاحبي عمر أضحى يطــاردني ... وكدت أصبح من لقياه مخجولا

ومــن قضيته مــع طول مدتهــا ... قلبي غــدا قسما بالله (مدبولا)

لذاك جئتك أرجــو أن تساعدني ... على الزمان لكي أقضي به السولا

فان رأيت أمــير العرب منشرحاً ... فارفع كتابي ليلقى منه تسهيــلا

وان رأيت انقباضا فيه كن حذرا ... حتى تلاقي طريق الخير مصقولا

والله أرجو بأن يجزي مساعيكم ... خيرا ويفتــح بابا كــان مقفولا

ويلهــم الخير مولانا الأمير وفي ... عين العنــاية يبقى العمر مشمولا

قلب الاجانب مقفل

وقلت وقد قدمتها للأمير فيصل في ١٣ ربيع الآخر عام ١٣٣٦ الموافق ١٩١٧ وذلك يوم وصولي الى موقع « الكُوَيْرة » بين العقبة ومعان بعد وقوعي أسيراً في بئر السبع بيد الانكليز والتحاقي بالثورة العربية الكبرى وكان الأمير فيصل من أعضاء جمعية عربية الفتاة التي انا أحد أعضائها أيضاً وهو قائد الجيش الشمالي مخيما في الكويرة .

احييك عن قومي تحية امة ... تريد حياة باسمك اليوم فيصل
تمد لك الأيدي التي قد هززتها ... تذكركم بالعهد والذكر أجمل
وأبناء قطر الشام باقٍ جميعهم ... على عهدهم ماضون لم يتحولوا
وها أنا ذا أبدي اليكم رسالة ... من الوطن المكبوت أني مرسل
ففي الشام يامولاي قوم تفطرت ... قلوبهم حزنا على من تقتلوا
وما فعل الأتراك في آل يعرب ... عظيم وأعظم بالالى قد تحملوا
فأبنائنا طراً لفك عقالهم ... من الأسر في الدنيا عليك توكلوا
وكل شعوب الأرض تسعى ولم يعد ... سوانا على الأقوال من يتوكل
ولو لم تقم فينا قيام مجاهد ... فماذا ترى كنا بذى الحرب نفعل
وليس لنا بالكون غيرك ناصر ... وعن حبنا قلب الأجانب مقفل
ولا نرتضي حكم الأجانب ساعة ... وحاكمنا بالحق والعدل فيصل

رصف الكلام

طالعت قصيدة للاستاذ سعيد عقل يصف فيها دمشق هزتني وهزت كل من سمعها مطلعها :

سائليني حين عطرت السلاما كيف غار الورد واعتلّ الخزامى

وكان قبل بضعة أسابيع نشر زجلاً شعبياً في مجلة الاذاعة السورية لم يكن موفقا فيه وقد أثار ضجة كبيرة بين الأدباء وكنت ممن لام الاستاذ عقل لاشتغاله بمثل هذه السفاسف ولكني لما قرأت القصيدة قلت :

من يظن الشعر في رصف الكلام أو بلغو القول من غير نظام
فهو طفل في قوافيه ولو نسج الأبيات من خيط الغمام
انما الشعر الذي يرقصني دون أوتار تناغي أو مدام
هو وحي كلما رددته هزّ قلبي وبرى مني العظام
بمعان هي كالجوهران نظمت حار بها عقل الأنام
كفتى لبنان « عقل » حينما يقرض الشعر ويشدو كالحمام
فهو في الشعر رصينا أن شدا مُعْرِباً يشفي المعنّى من سقام
استمع ما قال واعجب من فتى يبدل الوحي بمبذول العَوام
« تمتم المجد وناغى حلمه فوق زنديك اذ المجد غلام »
فسعيد شاعر مبتكر وله في دولة الشعر مقام
واذا ماجال في أزجاله تصبح الأشعار من لغو الكلام

نفخ الأبـواق

لما انتقلت من داري في محلة القنوات في دمشق الى كيوان للـدار الجديدة ، أزعجني ضـرب الأبواق التي كانت أصواتها لاتفتر مـن الصباح الباكر الى قرب الظهر ومن العصر الى غروب الشمس في كل يوم حيث كان الجنود يتمرنون على نفخ الابواق فكتبت هـذه القصيدة الى رئيس أركان الجيش السوري الزعيم شوكت شقير سنة ١٩٥٦ فاصدر أمره بنقل فرقة الابواق من ثكنات البرامكة الى المزة وأراحني من أصوات الابواق .

ياشوكة الخير ياقصدي ويا أملي ... أبواق جندك قد ضاقت بها حِيَلي
قرع الطبول وصوت البوق صبح مسا ... في كل يوم يسوق العقل للخلل
مالي سواك لأنجو اليوم من تعب ... ومن عذاب ومن بؤس ومن خبل
فلا الرئيس (الأتاسي[1]) اليوم ينقذني من الضجيج ولا (القدسي[2]) ولا (العسلي[3])
تقدم السن أعياني وحطمني وصرت ... أقضي طـوال اليوم (بالزعل)
أقلّ صوت على الأعصاب يزعجها ... حتى حفيف جناح الطائر العجل
فكيف بـالله والأبـواق صاخبة ... مـع الطبول بلا كـل ولا ملل
فأصدر الأمر يا ابن «الشقيري» بأن ... يكون تمرين نفخ البوق في الجبل
فالجند في الحرب حصن العرب واجبهم ... دفع العدى بالمواضي البيض والاسل
وفي السلام ليبقى الشعب في دعة ... تأمين راحتـه في سائر السبـل
أدامك الله ذخـرا للبلاد وعـش ... بالـخير واليمن والاقبال ياأملي

---

(١) السيد هاشم الاتاسي رئيس الجمهورية بذلك التاريخ .
(٢) السيد ناظم القدسي رئيس مجلس النواب بذلك التاريخ .
(٣) السيد صبري العسلي رئيس الوزارة بذلك التاريخ .

هجر الدلال

الشيخ حمد الصالح الحميضي من تجار الكويت البارزين تصادقت معه بعد أن تعارفنا ووصلت الصداقة لدرجة الاخاء وفجأة انقطع عني فكتبت اليه :

هجر الدلال من الاصحاب يُحتمل ... ان كان رائدهم من بعد أن يصلوا

ان كان هجرك عن دِلٍ رضيت به ... بعد البعاد يطيب الضم والقبل

أو كان هجرك عن بغض فهل سبب ... يدعو الى قطع حبل الود يارجل

عرفت في «حَمَدٍ» وداً به ارتبطت ... قلوبنا مابه « دخ ولا دخل »

«ياصالح» الاسم يامن فيك بغيتنا ... كن صالح الفعل مع من كله أمل

وعدتموني وما زرتم فوالهفى ... اني اسامح أصحابي وان مطلوا

اذا هتفت لكم كيما اخابركم ... أجابني عنكم الاتباع والخول

وكم وضعت لكم في بيتكم خبرا ... فظل قلبي بنار الشوق يشتعل

اني حريص على ودي فان تجدوا ... لقطعه سبباً ياسيدي «اصطفلوا»

وعندها أرسل الركبان منشدة ... «ودع هريرة ان الركب مرتحل »

وبعد أن أخذ القصيدة عاد لزيارتي كلما زار دمشق وبقينا الى اليوم اصدقاء .

موت الحسّاد

زرت الامير عبد الله بن الحسين في الديوان في الساعة الثامنة من صباح يوم الجمعة الواقع في ١٩٣٩/٩/١ وكانت العادة ان يزوره في الديوان كل يوم جمعة الشخصيات البارزة من الذين لهم صلة به من البكوات والبشوات الذين « بكوكهم وبشوشهم » ، وقد زرته في ذلك اليوم بعدما تصالحنا كما مر في غير هذا المكان وبعد أن وصلت الى الديوان ذهب الشيخ فؤاد باشا الخطيب الى غرفة الامير وأخبره بحضوري وعاد يدعوني للمقابلة فدخلت وكان الامير وحده واستقبلني استقبالا حارا وبعد أن تناولنا القهوة دعاني الى طعام الغداء في يوم ترك لي تعيينه فقلت يوم السبت غداً وكان دعا في ذلك اليوم قنصل تركيا في فلسطين وشرقي الاردن للغداء ثم ودعته وخرجت الى قلم الديوان واذا بأحد خدامه يقدم لي عباءة من عباءات الأمير مع كوفية وعقال وفي الوقت المحدد للدعوة ذهبت الى المقر العالي حيث تناولنا طعام الغداء وذلك في ١٩٣٩/٩/٢ وبعد تناول الطعام قمنا الى قاعة الاستقبال وشربنا القهوة وقرأت له هذه القصيدة التي نظمتها بعد أن أهداني العباءة .

اذا الحساد ماتوا اليوم قهرا ... وأعدائي اذا ذاقوا الحماما

فلست بسائل عنهم جميعاً ... فعبد الله أعطاني الذماما

لبست (عباءهُ) فغدوت فيها ... أمينا حيث لاأخشى الأناما

كبردة جدّه منحت لكعب ... فنال بها الكرامة والمراما

ومن أولاه سيدنا ذماما ... وعطفا منه حاشا أن يضاما

وعهدا قد قطعت مدى حياتي ... بأن أهوى البهاليل الكراما

وأن أهدي أمير العُرب قلبي ... وودي سوف أجعله غراما

ولما وصلت بالانشاد الى البيت الرابع جعل يصفق ويقول أعد وأعادني قراءة البيت عشرات المرات ثم قال أتعرف ما جائزة هذه الأبيات قلت مولانا أدري قال جائزتها نشرها في جريدة الف باء قلت نعم فارسلها ونشرت فيها .

الأمانــة

لحديث الأطفال :

ان الأمــانة في الرجــال مزيــة ... ممــدوحة فــي سائر الأقــوام
ولــذا الأمين يعيش طول حياته ... متمتعــاً بالعــز والاكــرام
ويحوز من ثقــة العموم مفاخرا ... عنهــا يقصــر رب كــل مقــام
والمصطفى المختــار كان بعصره ... نعــم الأمــين لأمــة الاســلام
سيروا كما سار الأمــين لترفعوا ... مجــد العروبــة ياصغــار الشام

صحبــة الــكتب

عاتبني صديق لانقطاعي عن زيارته . وذلك بعد أن عدت مــن عمــان وحالتي المالية كانت مضطربة فقلت :

يقول خليلي لــم تركت زيارتي ... وكنت قديمــا لاتقاطعني يــوما
فقلت كرام الناس انأيسروا غدت ... زيارتهم تترى الى صحبهم دوما
وان سلب الدهر الخؤون نعيمهم ... وأضحوا بفقر قاطعوا الخال والعما
مخافة أن يلقــوا شماتة شــامت ... بهم أو صديق جاهل يكثر اللوما
فدعني بحــالي فانزوائي بمنزلي ... وصحبة كتبي وحدها تطرد الهما

ويل للمحامينا

يوم الجمعة الواقع في ١٨/٨/١٩٤٤ دعا السيد خالد العظم أعضاء مؤتمر المحامين العرب الى قصره في دمر وقد ألقيت هذه القصيدة في الحفلة بعد انتهاء المدعوين من شرب الشاي ، وكان اللبنانيون منطوين على الحذر منا .

حي العروبة والغرّ الميامينا ... صوّابة القوم أخيار المحامينا

أهلا وسهلا باخوان لنا دلفوا ... الى دمشق ورحبا بالمحامينا

من هزهم واجب الاخلاص فابتدروا ... لعقد مؤتمر زاه بوادينا

يامن عقدنا عليهم حين دعوتهم ... آمالنا فأجابوا صوت داعينا

خلوا التغني بأمجاد لنا سلفت ... ليس التغني بماضي العُرب يكفينا

أعمال أجدادنا التاريخ سطّرها ... وليس ينكرها حتى أعادينا

ضموا الطريف الى ذاك التليد فان ... نفعل فقد قر عيناً مجد ماضينا

ان الخطابة والتصفيق وحدهما ... حول الموائد شيء ليس يجدينا

ياقومنا نظريات الحقوق اذا ... ظلت بلا قوة التنفيذ تؤذينا

حمالة العلم ان لم تتركوا أثرا ... بعد اجتماعكمو رحنا كما جينا

بلادنا بعد ذاك المجد قد تُركت ... نهب القوي عصورا تحمل الهونا

وليس من سبب الا تفرقنا ... أبناء عمي كفانا ماجرى فينا

فقبر عيسى ترى الافرنج من زمن ... للموسويين اهدوا مع فلسطينا

وذي «أوروبا» ببحر الدّم قد سبحت ... والحرب هذي طوت منها الملايينا

وليس فيها سوى أهل الصليب فما ... عـذر الذين بهذا البعد يسعونا
يكفي اذاً يابني عمـي مـواربة ... ولا تخـلوا التجافي بيننا دينـا
يا آل لبنان مدوا اليوم أيديكم ... للاتحـاد كما مُـدت أيادينـا
لاتفرقوا وتخافوا مـن تقربنـا ... فالاتحـاد مـن الأغيـار يحمينا
وهذه فرصة جـاءت فان ذهبت ... فغيركم بعـد هـذا من تلومونا
فلا تفضوا بحـق الله جمعكـم ... من قبل أن تضعوا أسّاً ينجينـا
أسّاً على العلم نبني فوقه وطنـا ... يقوى به العرب في عصر المغيرينا
فان فعلتم فأنتم أهـل بجدتهـا ... وان وهنتم فويـل للمحـامينـا

دستور الزعامة

وقلت سنة ١٩٣٩ بعد قتل الشهبندر وتصدر بعض المتزعمين لاظهار زعامتهم :

عجبت لمن يفكر بالزعـامه ... ويحصر في تَطلُّبها اهتمامه
ويعدو خلفها طول الليالي ... ومنها ليس فيـه ولا علامه
خصوصا بين شعب ليس يعطي ... لغير المصلحين به زمـامه
مُسوِّدُ نفسه عن غير علم ... ليحترموه يفتقـد احترامه
ومن طلب السيادة دون حلم ... واخلاص وبذل واستقامه
ولو لبس التقى بردا قشيبا ... وفوق الرأس كوَّرها عمامه
وفي ظل الاجانب لو تولى ... أمور الشعب مع لقب الفخامه

فلا يجني على مـر الليالي سوى الهزء المريرمع الندامه
الا ان الزعيم عليـه تبدو علائم نبـله منـذ الفطامه
زعيم القوم من يحمي حماهم ويشهر في أعاديهم حسامه
زعيم القوم يدفع كل شرٍّ ويرفع عن مواطنه الظلامه
وفي قول الحقيقة لا يبـالي بما قاسى وان لاقى حمامه
فان يبلـغ مناه يعش عزيزا وان (يقضي) فقد لقى الكرامه

ترك العوائد ذنب

كان لي أصدقاء أساعدهم بقدر استطاعتي وجهـد طاقتي ولمـا أدار لي الزمان ظهره قطعت اضطراراً عن بعضهم صلاتي المرتبة فاستاءوا مني ولم يعذروني فقلت :

ترك العوائد مهما كان بـاعثـه ذنب عظيم لدى المحروم ذي العدم
فلا تعوِّد أخا بؤس على صـلة رتيبـة تعقب الاحسان بالنـدم
لكن كما اتفق الاحسان مل فبذا تكون قدمت ماتستطيع من كرم

الفكر والالهام

القيت يوم الثلاثاء الواقع في ٢٦ ايلول سنة ١٩٤٤ في حفلة الغداء التي أقامها وزير المعارف لوفود ادباء البلاد العربية التي امت دمشق لحضور مهرجان المعري :

أصغى الحديد وقالت الأقلام ... لما ازدهى بذرى البيان الشام
وتلفتت مصر وساسة أمرنا ... فيها وألقت سمعها الأهرام
صوت العروبة في لُها أعلامها ... دوّت به الاغوار والآكام
الله علّم بالبيان فأنشئت ... دُوَل عليه وشُعِّبَت أقوام
صبغ السياسة قد يحول وصبغه ... قرت به الأحداث والأيام
نور من الحق المنزه ما مشى ... ختل بساحته ولا ايهام
أنتم بناة الروح ان زل الذي ... يبني وعدته قنا وحسام
فتداركوها أمة عربية ... عبثت بوحدة روحها الاوهام
ما خشيتي أن لاتزال حواجز ... قد خطّها المسّاح والرسّام
الخطب كل الخطب أن تتناكر الآ ... مال أو تطغى بنا الأحلام
وتحول عن طبع الكريم طباعنا ... ويغول نور ضميرنا الاظلام
ما أسرع البرء الصحيح لمدنف ... ان لم يهدّم روحَهُ استسلام
رسل العروبة في شريف لسانكم ... الصادقان الفكر والالهام
كونوا نداء ضميرنا في موقف ... أمست تصارع حوله الأقلام
يالله لاتتفرقوا من قبل أن ... يجلى بكم نهج العلى ونظام

الى أم كلثـوم

أقمت لأمِّ كلثوم في داري حفلة موسيقية أريتها فيها رقص السماح من طلاب المعهد الموسيقي الشرقي وذلك في ٣٠ حزيران سنة ١٩٥٥ ولما عادت الى مصر أرسلت لي هذه البرقية :

دمشق فخري بك البارودي :

لاأستطيع ان اعبر عن شكري للرعاية التي لقيتها ويلقاها فن الموسيقى منك .

فأجبتها بما يأتي :

برقية وصلت من أم كلثوم ... أخذتها من يد الساعي بتعظيم
ياكوكب الشرق شكرا لا يعادله ... شكر على لفتة نحوي بتكريم
اني أكون سعيداً لو عطفت على ... الفن القديم بانشاد وتنغيم
فأهله جلهم عقوه من كسل ... بل أضعفوه بتخدير وتنويم
فعالجيه بحق الله مخلصة ... لتنقذيه بتثبيت وتقويم
أبقاك ربي لبعث الفن مفخرة ... عيشي ودومي لنا يا أم كلثوم

ابكوا على الوطن

أقامت اللجنة الخاصة التي تشكلت في عمّان حفلة تأبينية بعد مرور عام على وفاة المرحوم حسن خالد باشا ابن أبي الهدى الصيادي رئيس وزراء شرقي الاردن ودعوني لالقاء كلمة فقلت وذلك في كانون الاول ١٩٣٩ والذي دعاني هو مصطفى وهبي التل وطلب مني أن تكون القصيدة من بحر البيت الآتي : وعلى رويّه :

هل تذكرين وأنت من غزلانه ... وادي الشتا والعمر في ريعانه

فقلت :

ماذا يفيد الدمع من تهتانه ... إمّا بكى شاك على اخوانه

ولسوف يوقعنا الردى بحباله ... والكل رهن اساره وهوانه

والميت هل يجديه تحت ترابه ... دمع يسح عليه من أخدانه

والذكر لايبقى لصاحب رتبة ... ان لم يكن يحمي الحمى بسنانه

والحر يخلد بالفعال وانما ... من لم يعش حراً فعبد زمانه

والاسم في التاريخ يبقى مشرقا ... ويظل صنو الدهر في دورانه

هذا انو شروان كسرى لم يزل ... في عدله حيا وفي ايوانه

فدعوا البكاء على الرجال فموطني ... جهل الزعامة آخذ بعنانه

وابكوا على الوطن الشقيّ فاننا ... لأحقُّ من يبكي على أوطانه

فمصابه قد كان من أبنائه ... فمن الأعادي ثمَّ من جيرانه

فاذا أنا عربدت لاتتعجبوا ... فالهمُّ أسكرني بخمر دنانه

فالأجنبيُّ لـه الرئـاسة بيننـا ... والخـائنـون تمتعوا بأمـانـه

وترامت الأنـذال في أحضـانه ... «واستسلمت ومضيت في عصيانه»

والوغـد يرتع كيف شاء بغبطـة ... والحرُّ يقضي العمر في احـزانه

ولـذا أقـول بحرقة متمثلا ... والفكـر مني تـاه في بحـرانه

« هذا زمان ليس يـدري أهله ... ما فضل صاحيه على سكرانه »

وطـن العروبة وهو أشرف موطن ... قد كاد يقضي النحب قبل أوانه

وطنيـة الانسان في أفعـاله ... ليسـت بمنطقـه ولا ببيـانـه

فالشعب ينهض باتحـاد رجالـه ... ونظـامه والصـدق في ايمـانه

وأبو الهـدى حسن دعوه فانـه ... ان شـاء ربي خـالد بجنـانه

العلـم العـربي

في سنة ١٩١٨ التحقت بالثورة العربية الاولى ووصلت العقبة مـع المتطوعين من الضباط العرب في الجيش العثماني الذين وقعوا اسرى في الحرب في موقعة بئر السبع بايدي الانكليز وكان الامير فيصل قائد الجيش الشمالي للثورة في موقع الكويرة يشكل اللواء الاول مـن الجيش العربي النظامي ووصلت الى الكويرة عند انتهاء تشكيل اللواء وكان عدده أربعة آلاف جندي كلهم من أبناء العرب الاسرى الذين التحقوا في الثورة ويوم تسليم العلم وهو أول علم عربي سلم للجيش النظامي في حفل كبير جمع اكثر رؤساءالعشائر الذين التحقوا بالثورة وبعد ان سلم الامير فيصل العلم لقائد اللواء وانتهت المراسم وقفت وسط الجميع والقيت القصيدة الآتية فلم يبق قائد أو ضابط أو رئيس عشيرة أو بدوي الا بكى ولا أقدر أن أصف شعوري آنذاك وما تجلى علي مـن اطياف الاتي ومرور جيوش الوحـدة العربية بالنظام والاعتدة والاسلحة التي رأيناهـا في الجيوش الاوربيـة ، فقلت :

جـددوا عهـد الابـاة الثائرين ... تحت رايات الغـزاة الفاتحـين

واقرؤوا تاريـخ أجـدادكمـو ... ان فيـه عبـرة للقـارئـين

انهـم قـد دوخوا فيمـا مضى ... دولا قـادت زمـام العـالمـين

سخروا بالمـوت لمـا رفعـوا ... رايـة العز بأيـدي الثـائرين

أي انسـان يـرى أمتـه ... رفعـت بالحـق ضد الغاصبين

علمـا يجمـع فـي ألـوانـه ... رمز تاريـخ الجـدود الغابرين

ثم يخشى المـوت في نصرتـه ... فهـو نـذل في عداد السافلين

عـاهدوني انـكم فـي ظـله ... ستظلـون كطـود ثـابتـين

وانهضوا وامشوا الى ساح العلا انكم ياقوم خير الناهضين
واعملوا فالنصر مكتوب لكم ان ظللتم باتحاد سائرين
واكتبوا في دمكم سطرا به قد فتحنا لكم الفتح المبين

احذر كل انسان

قلت في رجل صادقته أكثر من ثلاثين سنة وسعيت بتعيينه في عدة وظائف درت عليه الخيرات وكفته ذلّ السؤال وكان لئيم الطبع فجزى الاحسان بالاساءة :

لاتأمننّ لانسان وان ظهرت منه المحبة في سر واعلان
لأنه بشر والغدر عادته فاقبل وصاتيَ واحذر كلّ انسان

المن

جمعني مجلس مع وجيه متبجح جعل يفتخر بأعماله الخيرية ويظهر للجالسين انه يتفضل على بعض اصدقائه بالصدقات فقلت :

البخل أفضل من جود تمن به خير من المن بعد الجود حرمان
فلا تكدر اذا أعطيت ذا عدم يا فاعل الخير ما بالمن احسان

كلنا وطني

القيت هذه القصيدة في المجمع العلمي عقب محاضرة الاستاذ احسان الشريف يوم الجمعة وقدأدرجت في جريدة العمران ومجلة العروس عدد ١١ المجلد ٩ سنة ١٩٢٣ .

ان التبجح بالاخلاص للوطن ... أضحى سجية كل الناس في وطني
فما سألت من النشء الجديد فتى ... عن أي شيء ولم يذكر به وطني
ولا اجتمعت بشبان وما ندبوا ... حظ البلاد وحظ الشعب والوطن
وفي البلاد من الشبان من حصروا ... الايمان واحتكروا الاخلاص للوطن
أما الألى أحرزوا من أي مدرسة ... عليا شهادتهم هم عمدة الوطن
ولا مررت بشيخ عاجز هَرِمٍ ... الا رأيت به عطفا على الوطن
ولا صحبت أديبا فاضلا لسناً ... الا واسمعني شيئا عن الوطن
ولا عرفت بقومي شاعرا غردا ... الا تغنى بحب العُرب والوطن
ولا رأيت صحافيا صحيفته ... لايدعي انها وقف على الوطن
ولا حظيت (بذات من أكابرنا) ... الا وأظهر لي ميلا الى الوطن
ولم أزر تاجرا الا وبرهن لي ... بأن أعماله في (صالح) الوطن
ولست أذكر فلاحا مررت به ... الا وكال الدعا للشعب والوطن
ولا الموظف مهما كان مركزه ... الا ادعى شدة الاخلاص للوطن
حتى الألى هدموا أركان نهضتنا ... في يومنا أصبحوا من سادة الوطن

* * *

أما الذين ادعوا عقلا جميعهم (مع التحفظ) من أنصار ذا الوطن
وكل من جاز لي في الشرع رؤيتها من النساء دعت بالخير للوطن
وكل سيدة لابدّ قائلة (اضرب بقلبي) على أبناء ذا الوطن
ولا التقيت بجاسوس وكلمني الا ادعى انه من فتية الوطن
ولا دخيل ولو بانت رطانته لا ينتمي بيننا الا الى الوطن

* * *

(فالأجنبي) وطني (والسرسري) وطني (والبلطه جي) وطني (يلعن أبو وطني)
وحاصل القول ماحادثت في زمني فردا من الناس لايحنو على الوطن
أما أنا دائما والناس تشهد لي أحنّ شوقاً الى سلمى وللوطن

* * *

أي النوادي التي قد أسّست وقضت مهما يكن شأنها لم تدع للوطن
كم انتسبت الى جمعية فشلت وكان تأسيسها في خدمة الوطن
وكم نُسبت لحزب في البلاد ولم يكن له غاية الا عُلا الوطن
كم (شركة) أسست في الشرق ما نجحت لكنها وضعت عنوانها وطني
كم ذا نرى لوحة في السوق زاهية فوق الحوانيت فيها جملة الوطن
فالمطعم الوطني والمسرح الوطني والمرقص الوطني والمسبح الوطني
اني لأعجب وايم الله من وطن أبناؤه لم يراعوا ذمة الوطن
مازلت أزداد في الاخلاق تجربة حتى وجدت قليلا منهمو الوطني
لذاك صرت أخاف الناس كلهمو حتى شككت بنفسي انني وطني
من ذا أصدق بعد اليوم في وطني ويلي عليك وويلي منك ياوطني

سلامة أمتي

سجنت في قلعة دمشق مائة يوم وخرجت بعد المحاكمة بالبراءة فقلت بعد خروجي من السجن :

اذا كان في سجني سلامة أمتي ... فلا نظرت عيني الى خارج السجن

* * *

فرح الواشين

وقلت في ذلك :

اذا فرح الواشون لادر درهم ... بسجني وسجني من وشايتهم كانا
وحب بلادي منه كانت جريمتي ... سأخرج من ذا السجن أكثر ايمانا

الصديق الوفي

الورد هو أحب شيء اليّ لم يفارق صدري منذ وعيت على وجودي وان الله رحمني بانه يهيء في كل يوم من أيام السنة وردة ازين بها صدري في أي مكان كنت فيه وقد سألني أحد الاصدقاء عن سبب حملي للورد فقلت :

الورد أوفى صديق ظلّ يصحبني ... من مشرق العمر حتى هدّني زمني
أحببته فجعلت الصدر منزله ... أوليه حبّي في سري وفي علني
ما كان لي فرحة الا وشاطرني ... بها السرور ولم يمنن على منن
في اليسر في العسر في يوم اللقاء وفي ... يوم الوداع بروح الانس يسعدني

فان أقم دعـوة زينت مـائدتي ... به وباقـاته الزهـراء تغمـرني
أو عـلة نزلت بي فهو أول مـن ... يزورني ويـواسيني ويؤنسـني
وبعد موتي ودفني ، من يشيعني ... يعـود والورد في رمسي يعانقني
فهو الوحيد الذي يبقى على جدثي ... في وحدة القبر يبكي خادم الوطن

يـاعـود

العود هو أطرب آلات الموسيقى الشرقية ، سألني أحـد الموسيقيين ان اصفه بأبيات فقلت :

ياعود أنت على الأيـام مُعجزة ... آياتك الغـر لاتحتـاج برهانـا
ففي رياضك كم ظلّلت مـن أمل ... وبعد قطعـك كم سليت أحزانا
وكم تغنّت طيور في مفـارحها ... عليك في الدوح لما كنت ريانـا
والآن تشجي فؤاد الدهر من طرب ... وقد يبست وكـم رددت ألحانا
وفي رياضك كم عصفورة رقصت ... والفجر يصحو على التغريد نشوانا
واليوم ياعود كم أرقصت غانيـة ... لولاك ماحركت في الرقص أردانا
ما فيك ياعود من عيب سوى حرد ... يزيد حينا فيبـدو منك عصيانا
ياعود لولا اختلال فيـك يزعجنا ... اذا حـردت على العوّاد أحيانا
لمـا ضُربت بمضراب ولا عركت ... يد لأصـلاحك المنشود آذانـا

والضحى والليل ..

صدر ضحى الاسلام للاستاذ أحمد أمين ، ولم يصدر القسم الثاني والثالث من فجر الاسلام الذي وعد به الدكتور طه حسين والاستاذ عبد الحميد العبادي ، كما جاء في مقدمة الطبعة الاولى من فجر الاسلام التي تعهد بها الدكتور طه حسين بنشر القسم الأدبي ، وأشار في هذه المقدمة أيضا الى تعهد الاستاذ العبادي باخراج القسم الثالث وهي الناحية السياسية. فأرسلت الى الاستاذ أحمد أمين هذه الابيات مستحثاً بها الدكتور طه والاستاذ العبادي ونشرت في مجلة الرسالة .

(والضحى والليل) يا أحمد أمين ... أنت في التاريخ ذخر الباحثين
أنت في الآداب ركن ثابت ... أنت في الاخلاق نور المهتدين
أنت مهدت سبيلا واضحاً ... كان وعرا مرهقا للسالكين
فجرك الباسم أحيا أملا ... كاد يذوي في صدور الناشئين
(وضحاك) الضاحك اليوم بدا ... مثل بدر في ليالي التائهين
قل لعبَّادي وطه تمِّما ... نشر أجزائكما للقارئين
ان وعد الحر دين فالى ال ... وعد واشفوا غلة المرتقبين
نحن والاخوان في الشام على ... مثل حر الجمر في المنتظرين

يحرك بالبنـــان

بعد ثلاثة شهور من اقامتي في بغداد واطلاعي على أحوالها السياسية وتسلط الانكليز على الحكومة التي لم يكن في يدها أقل سلطة وذلك سنة ١٩٤٠.

قلت :

حكومتنـــا السعيدة ذات شكل ... نيـــابيٍّ يـــدار « ببرلمـــان »
ودستـــور حمـــاه مجلســـان ... مـــن الأعيـــان والنـــواب ثاني
وفي بغـــداد قانـــون" ولكـــن ... بـــلا وتر يحـــرك بالبنـــان
فيلعـــب فيـــه أرباب الكـــراسي ... على توقيـــع حاجـــات الزمـــان
وأعضـــاء المجـــالس لم يبالـــوا ... بمـــا تلقى البـــلاد مـــن الهوان
وأحـــرار البـــلاد بكوا دمـــاءً ... على ما ضاع من عذب الأمـــاني
فشعـــب يرتضي هـــذا حـــريٌّ ... بـــأن يبكي على مـــر الزمـــان

تشطير

كنا في جلسة ليلة في المقر الاميري في عمان نسمر فاقترح الامير عبدالله ابن الحسين على الشعراء تشطير هذين البيتين :

بربك هل ضممت اليك ليلى ... قبيل الصبح أم قبلت فاها

وهل رفت عليك قرون ليلى ... رفيف الأقحوانة في شذاها

فقلت :

بربك هل ضممت اليك ليلى ... وذقت الشهد يُجنى من لماها

وهل دغدغت نهديها لماما ... قبيل الصبح أم قبلت فاها

وهل رفت عليك قرون ليلى ... وفاح المسك ريا من نداها

وأبصرت الملاحة في شعور ... رفيف الأقحوانة في شذاها

* * *

الروح الطليقة

سجنتني السلطة الافرنسية في قلعة دمشق مدة طويلة وأبلغوني أنهم لايطلقون سراحي حتى أعدهم بأني أبتعد عن اخواني وأترك السياسة ، فقلت:

اذا اعتقلوا جسمي فروحي طليقة ... وهل كان ذنبي أن أحب بلاديا

فان منعوا عني اقتراب أحبتي ... فما منعوا عن حب قومي فؤاديا

في المـارستان

في سنة ١٩٤٧ أصابتني نزلة صدرية حادة فاضطررت لدخول المستشفى وكنت عقيدا متطوعا في الجيش السوري فأدخلوني المستشفى العسكري وكان في بوابة الصالحية في البناية المعروفة بالاركان اليوم وقد وضعت الحكومة السورية يـدها على المستشفى المذكور بعد خروج الافرنسيين وقسمته قسمين أخذت قسماً للاركان وأبقت المستشفى في القسم الآخر. ومن المعلوم ان الدائرة التي يسكنها الجنود يصير فيها ضجة عظيمة وذلك ماجعلني اضجر مـن الضجة التي يحدثها الجنود والسيارات العسكريـة خصوصا سرية المقر التي كانت تتعلم الاناشيد فتنشدها في الذهاب والاياب والصباح والمساء وبساطير الممرضين الذين يسيرون فيها بالكاريدورات مما دعاني الى نظم هذه القصيدة وارسالها الى رئيس الاركان (اللواء عبد الله عطفه) وهي :

أهـل المروءة مستشفاكم حسن ... يـديره بنظـام خـير شبـان

نحو الكمال يسير اليوم متئـدا ... عسى يكـون بـه فخر لأوطاني

لولا اغتصابكم ثلثيه ما ضجرت ... مرضى الجنود الالى في قسمه الثاني

مازال فيه اساة العرب تعمل في ... اراحة الجند من بلوى وأشجان

كأن مرضاه من عطف الاساة غدوا ... في دورهم مع ذويهم بين خلان

أمـا النظافة اني لست أنكرها ... وكـل أعمالـه تجري باتقـان

طعـامه ما به عيب ولا (زغـل) ... وطهيه جيـد من كـل ألـوان

نزلت فيه لأستشفي فشمت بـه ... عطف الجميع وكلٌ فيه واساني

ولست وحدي الذي ألقى عنايتهم ... بل الجميع استووا في ظل تحنان

لكنني سوف أشكو بعض منقصة ... اذ كدت أفقد فيه «طبل آذاني»
كم لوحة علقوا في كل ناحية ... (نرجو السكوت) أقاموها باعلان
وبعد يوم مضى فيه ندمت على ... دخوله حيث اني (عفت ايماني)
ولست وحدي الذي يشكو الضجيج به ... بل الجميع بهذا شأنهم شأني
نشكو الصفير ولغط الجند صبح مسا ... وسط الحديقة شكوى البائس العاني
من بعد تقسيمه أضحت دوائركم ... كلاً عليه وساءت بعد احسان
غلاظة الجند حلت في حديقته ... بالآليات كأتا في (مارستان)(١)
وكل (موتورسكل) (٢) مرّ قلت ترى ... أصوت غول علا أم عزف شيطان
قرع البساطير(٣) في ممشاه تسمعها ... من سهل حوران او أطواد عمان
(الكوردور)(٤) طويل ان همست به ... دوى دويّ رحى في قرب ايوان
صوت الخفير بنصف الليل تسمعه ... امّا علا (بورزان)(٥) وسط ميدان
جند السرية في التدريب يزعجنا ... بل يزعج الناس من قاص الى دان
وقع الأناشيد والأجناد تنشدها ... قبل التمارين بعد الصبح أصماني
أين الهدوء هل المرضى قد اقترفوا ... ذنبا فمنه جُزوا ظلماً بحرمان

---

(١) البيمارستان : كلمة فارسية معناها المستشفى وقد حرفها أهل الشام لفظا ومعنى فهي على السنتهم مارستان وفي أفهامهم مستشفى المجانين .

(٢) « موتور سكل » الدراجة النارية .

(٣) البسطار : جمعه بساطير حذاء الجند الغليظ المصفح بالحديد .

(٤) الكوريدور : الممر بين الغرف .

(٥) البورزان : هو بوق الجنود المعروف .

رأيت مستشفيات الغرب هادئة ... لكنها عندنا حمّام نسوان
فأمر بتهدئة الأعصاب حيث نرى ... جنديّنا بارتياح (كالقمندان)(١)
هيا انقلوه أثاب الله فعلكم ... لمزة الشام أو أنحاء كيوان
تأمين راحتنا في ظل عهدكم ... فرض عليكم جزيتم كل احسان

وما وصلت القصيدة الى رئيس الاركان حتى أصدر أمره بالتزام الهدوء وبتغيير بساطير الجنود المرضين بأحذية لايسمع لها صوت عند المسير نعالها من لباد ومنعوا جميع السيارات من المرور قرب المستشفى واصدر الامر الى جميع القطعات بعدم الصفير ومنع الضجيج فاسترحنا واستراح المرضى .

مثل اسباني

قرأت مثلا اسبانيا يقول يجوز الكذب في محلين عندما تحدث امرأة وعند وقوع الخطر فنظمت ذلك بقولي يباح الكذب في أربعة أوقات .

الكذب ممنوع لدى الانسان ... عند الشعوب بسائر الأديان
ولقد قرأت اليوم في تجويزه ... مثلا عَزوه لشاعر اسباني
مثل يقول الكذب دوما جائز ... في حالتين على مدى الأزمان
في حالة الخطر الشديد وعندما ... يتحدث المضني مع النسوان
وأنا ازيد عليه في صلح اذا ... ماتم فيه سلامة الاخوان
أو خدمة مأثورة لبلادنا ... فيها صلاح الشعب والأوطان

(١) قمندان : رتبة في الجندية الافرنسية وهي تساوي رتبة المقدم.

لرامي ورسوله

دعتني وزارة المعارف الى بلودان لحضور جلسة من جلسات مؤتمر الادباء فذهبت وذلك في سنة ١٩٥٦ وقضيت ليلة بين أدباء العرب وأكثرهم من اصدقائي واخواني وفي نهاية السهرة اجبروني على النوم في الفندق الكبير في بلودان ولما لم يكن معي منامة (بيجامة) ذهب شاعر شباب النيل الصديق الحبيب أحمد رامي واحضر لي منامة وسلمني اياها بيده وعرف رقم غرفتي وذهب وما كدت أقلع ثيابي الا وباب الغرفة يقرع ودخل غلام جميل وضع على المنضدة كيسا صغيرا فيه شيء من الكمثرى ، وضع الكيس وقال هذا من أحمد رامي وذهب بسرعة دون أن يقف لحظة فحضرتني البديهة فقلت :

يارامي القلب كمثراكم وصلت ... مع الرسول فأهلا بالحبيبين

أهلا بنجم سرى كالشهب مسرعة ... أو قبلة تتهادى بين ثغرين

أو بسمة من شفاه الحب خاطفة ... أو لمحة النور مرت عبر جفنين

شكرا لفضلك يارامي فانك في ... معارج الذوق زدت اليوم في عيني

أدامك الله للأخوان مفخرة ... وقدر الله لي ايفاءكم ديني

وفي الصباح أرسلت له الابيات فكانت حديث القوم وانتشرت بسرعة بين المؤتمرين وبينما انا واقف مع بعض الادباء والشعراء وكل منهم يتقدم مني ويقدم لي قبلة وهي الضريبة التي وضعتها على الشبان واذ بأحمد رامي يأتي من بعيد واسرع نحوي يشكرني على الابيات فقبلته قائلا هذه القبلة لله ورسوله ليس لي فيها أقل غرض فقال لا ان قبلتك ليست لله ورسوله انما هي لرامي ورسوله فكانت نكتة الاسبوع .

ننتف بلحانا

كان المجلس النيابي على وشك انهاء دورته ومرسوم اعادة فتح المعهد الموسيقي الشرقي الذي اغلق ابوابه بسبب حذف موازنته في العام السابق في مجلس الوزراء تحت التوقيع وكانت الحوادث تمر والبلاد في اضطراب وخوفاً من انقلاب يأتي فيغلق المجلس ويبقى المعهد مغلقاً نظمت هذه الابيات وأرسلتها الى مجلس الوزراء وهو مجتمع فكانت النتيجة انه صدق المرسوم.

أرجو من مجلس وزرانا ... ان رام لقومي احسانا
اقرار مراسم (معهدنا) ... لنعيد الفن كما كانا
وعلى كل فالأمر له ... والخير منه نأمله
وأنا من قلبي أسأله ... أن يعطي الأمر به الآنا
خوفا من أن يُمضي الشهرا ... والمجلس يعطيه العمرا
والله بما يأتي أدرى ... من بعد (فننتف بلحانا)

* * *

ميثاق البارودي

كان شبان البلاد دائما ... عمدة الأوطان عند المحن
فعلى شبابنا دفع الأذى ... عن بلاد العرب طول الزمن
ان ميثاقي اذا قامت به ... امتي فيه حياة الوطن
قاطعوا صهيون في كل الورى ... من أقاصي الغرب حتى اليمن

حاصروهم لاتبيعوهم ولو ... قمحة أو درة من لبن
وكذا لاتشتروا من صنعهم ... ماسة أو فتلة من قطن
لا ولو باعوكمو منتوجهم ... في فلسطين بعشر الثمن
طمع الأفراد يفني أمة ... ان تنحوا عن سويّ السنن
واقتلوا بالفعل من عاملهم ... في مجال الجد أو في الددن
ان شعبا لايجازي خائنا ... هو شعب لائق بالكفن
قلدوا الألمان في تنظيمهم ... وخذوا بالثأر مثل الأرمن

الأميران

بعد ان اصطلح الحال بيني وبين أمير الاردن عبد الله بن الحسين منحني وسام النهضة من الدرجة الثانية تبديلا للوسام الذي منحني اياه والده الملك حسين بن علي ايام الثورة العربية وكتب عبد السلام بك كمال (فرمان) الوسام ولكن رئيس الديوان محمد بك الانسي أخذ أمرا من كلوب باشا أو ادعى بذلك ومنع الوسام عني فقلت :

غريب أمر عمان ... بها أضحى أميران
أمير يصدر الأمر ... فيمحو أمره الثاني

* * *

حبل السلطان

كنت في عمان ملتجئا ولاحظت ان المقربين للأمير وحاشيته مطاليبهم تقضى بسرعة والمغضوب عليهم ينبذون نبذ النواة من جميع الناس ولا ينفذ لهم طلب فقلت :

لاتنزلنّ بعمّان كملتجىء ... الا وحبلك موصول بسلطان
فليس من أدب يغني ولا حسب ... يجدي ولا حرمة فيها لانسان

شيوخ العُرب لايعرفون الخوف

لما توترت الحال بين الافرنسيين والسوريين قبل حوادث ٢٩ أيار ١٩٤٥ ببضعة أيام ظهر الافرنسيون بمظهرهم العدائي السافر ضد الحكومة الوطنية ولم يكن للحكومة الوطنية من القوة غير الدرك وكان الجيش السوري بالاسم والافرنسي بالفعل مربوطاً بالافرنسيين وعرف الناس نية الافرنسيين فأقبلوا على التطوع طالبين التسلح وكنت نائباً عن دمشق في المجلس النيابي فتطوعت في ٢٥ أيار وعُيِّنت معاوناً برتبة مقدم لقائد قلعة دمشق العقيد رشيد عطفة وأقبل الشبان على التطوع بالمئات وكلهم يطلب سلاحاً ولباساً عسكريا ولم يكن لدى الدرك عشر معشار ما يطلبه المتطوعون وقد امتلأت القلعة بالشبان فكنت تراها مثل يوم القيامة الناس قائمون قاعدون وكان أفراد الدرك يأخذون رواتبهم ويأكلون في دورهم ولما توترت الحالة واستنفرت قيادة الدرك الافراد لم يعد أحد يتمكن من احضار طعامه وأسرعت الجمعيات النسائية في دمشق لاحضار الطعام لأفراد الدرك ولما كان الطعام الذي يحضرونه لايكفي اضطررنا لتأسيس مطبخ لتوزيع الطعام على الافراد المنتشرين من أول المدينة الى آخرها للمحافظة على دوائر الحكومة ودور القنصليات وكانت دمشق مغلقة فأرسلت واستدعيت شيخ النحاسين وطلبت منه أدوات مطبخ كاف لاعاشة أفراد الدرك في دمشق فذهب وجمع النحاسين وفتحوا حوانيتهم وأرسلوا لنا مطلوبنا تبرعا دون أن يأخذوا الثمن وساعدنا المسجونون بهذا العمل وجعلنا نطبخ الطعام في السجن ونوزعه على الافراد في الأمكنة التي يحافظون عليها .

وفي يوم ٢٩ أيار ١٩٤٥ ضرب الافرنسيون القلعة والمجلس النيابي وكان النواب قد غادروا المجلس بناء على خبر وصل الى الرئيس المرحوم سعد الله الجابري فعطل الجلسة وصرف النواب وفي الليل اشتد ضرب المدافع وحامت الطائرات على القلعة ونحن فيها وكان تطوع قسم من شبان (رنكوس) الأبطال وجاؤوا الى القلعة يطلبون السلاح ولما لم يكن لدينا أبقيناهم في القلعة وصرنا كلما قتل جندي من الدرك أخذنا سلاحه وأعطيناه الى أحد الرنكوسيين أو غيرهم من المتطوعين وكان قد تطوع أحد الطلاب الوطنيين ويسمى وفيق الحلبي ورافقني من يوم تطوعت الى أن تم الجلاء وسيأتي

ذلك في مذكراتي مفصلا. ولما اشتد علينا الضرب خفت على السجن فأرسلت الى الوكيل شعبان أمرا بفتح أبواب السجن فلم يقبل أمري الذي بلغه اياه وفيق الحلبي فذهبت مع وفيق نركض لاجباره على فتح الابواب خوفا على المسجونين ونحن في منتصف باحة القلعة انفجرت قنبلة طائرة بالقرب منا فانبطحنا وأصابتني شظية في رقبتي ولم أحس بها لما كانت حامية ودخلنا السجن واعطيت الامر الى شعبان بفتح الابواب للنساء والرجال وبينما نحن في ذلك الحال واذ باحدى الطائرات تلقي قنبلة كبيرة على أحد (القواويش) فتهدمه على رؤوس المسجونين وكان بعض المساجين اشعلوا البريموسات وجعلوا يقربونها من الابواب الحديد ليفتحوا منافذ يخرجون منها ففتحنا لهم الابواب وجعلنا ننقل الجرحى الى الشكية ومنها الى المستشفى الانكليزي في القصاع ولم يكن مستعدا لقبول أي جريح لعدم وجود أسرة وأدوات كافية فالتجأت الى أهل محلة القصاع الذين أظهروا كل نخوة حيث فتحوا لنا أبواب النوادي وفرشوها بفرش استعاروها من بيوت الناس وقام كشاف القديس جاورجيوس بأعمال انسانية يشكر عليها فساعدنا باحضار الشموع وجمع لنا جميع أطباء المسيحيين الذين أجروا العمليات على ضوء الشموع ولما برد عليَّ الجرح وأحسست بالدم يسيل على رقبتي ذهبت الى (الشكيَّة) وكان الطبيب لم يزل هناك فضمد جرحي وكان بجانبي وفيق الحلبي فسمعني أدمدم وأغني والطبيب يضمد الجرح فقال لي بحدَّة أتغني وأنت مجروح ، فضحكت. وفي اليوم الثاني نظمت قصيدة لم يبق ببالي منها غير هذه الابيات الثلاثة .

أتلحى جريحاً ياوفيق اذا غنَّى ... وأعداؤنا يحصون أنفاسنا ضغنا

أغني لاوحي للخصوم بأننا ... رجال بيوم الروع لانعرف الحزنا

وأعطي الى الشبان درسا يفيدهم ... بأن شيوخ العُرب لاتعرف الجبنا

قلت هي ..

طلبت مني زوجة الأخ فارس بك الخوري أن أنظم شيئا القيه في حفلة تكريم الآنسة مي (ماري زيادة) وقد نظمت الابيات الآتية التالية بناء على طلبها ويوم الحفلة دعوني اليها فحضرت ووجدت الخطباء قد تعينوا من قبل النادي وقدموا خطبهم الى المراقب المرسل من قبل السلطة الافرنسية اذ كان لايسمح لأحد أن يلقي شيئا دون مراقبة ، فصعدت الى المنبر دون أن أخبر أحدا ولم أعط القصيدة للمراقبة فكانت مفاجأة للسلطة .

أنعم الله مساكم سادتي ... ومسا سيدتي (الآنسه مي)
زهرة في الشرق تزهو نضرة ... عبقت أرواحها في كل حي
ان يسلني بعض من يجهلها ... أيّ مي أنت تعني قلت (هي)
أنا مفتون بآداب النسا ... هل ترى في ذاك من لوم علي
فهي أمٌ للعلى قد شُبِّهت ... بالمعري شيخنا الفذّ الأبي
لاتذوق اللحم من رأفتها ... وسواها يأكل الخاروف (ني)
ان أقف شعري على تمداحها ... طول عمري لم أوفر (شفتي)
غير اني الحق لا أكتمكم ... ربما أعجزني هذا الروي
لاتقولوا نحن أبناء الألى ... ورثوا المجد سرياً عن سري
ليس يجدي المرء الا علمه ... من بني غسان أو اشبال طي
لو غدا في الشرق سرب مثلها ... لسبقنا كل شعب بالرقي

نحيي المبادىء

كنت يوما من أيام عام ١٩١٥ ضابطا في الجيش العثماني وكانت فرقتي العسكرية الفرقة ٢٧ مقيمة في الناصرة وحواليها وكنت استأجرت غرفة في دار المختار واسمه أبو سامي وفي أحد الايام أتت امرأة من أقرباء المختار تشكو اليه نزول الدرك في دارها لتعقيب زوجها الفار من الجندية وانهم يطلبون منها الطعام والدخان والتنباك وانها وأولادها لم يذوقوا خبز الحنطة منذ شهر وانها تأكل مع أولادها خبز النخالة فقط مع قشر البرتقال فمن أين تأتي للدرك بالطعام ، هل تبيع عرضها أم عرض بناتها وجعلت تبكي أحر البكاء وأولادها يعولون فتأثرت جدا من هذا المنظر وكتبت لها كتابا على لسانها الى قائدالفرقة ٢٧ التركية محيي الدين بك قنوات الارناؤوط ذكرت فيه ظلامتها وتعسف الدرك وقلت اذا كانت الحكومة عاجزة عن احضار جندي فار وهي تلجأ لارهاق أهله وعياله لاحضاره فكيف تتأمل الدولة بالانتصار في الحرب القائمة بينها وبين أعدائها . أخذ القائد كتابها وبحث عن القضية ولما ظهر له صحة كلامها أمر قائد الموقع أن يمنع نزول الدرك على عائلات الجنود الفارين وبذلك تخلصت جميع عائلات المنطقة التي بها هذه الفرقة . ومن شدة تأثري قلت هذه القصيدة وانتشرت في فلسطين بين الشبان القوميين من أبناء العروبة .

يعنفني قومي بحبّي بلاديا ... وسفك دمي في حبها ليس غاليا
واني وقفت النفس عن طيب خاطرٍ ... لأجعل شأن العُرب في الكون عاليا
اذا هبَّ قومي كنت أوّل ناهضٍ ... وان قعدوا كنت الخطيب المناديا
وفخري بفخر الأهل عزّي بعزّهم ... ومن حزنهم حزني يثير بكائيا
فكم أمة ثارت بعزمة صادق ... تُحطّم اغلالا وتُرغم عاتيا
ونحن قعودٌ نرتضي الضيم منزلا ... ولا ندفع الخصم القويَّ المعاديا
على اننا كنا كراما وزيَّنت ... مآثرنا تلك العُصور الخواليا

أرى الترك لم يلقوا رشادا بحربهم ... وان ركبوا صعبا وخاضوا فيافيا

لقد وهموا بالحرب حتى رأيتهم ... أضاعوا بلاداً كالنجوم زواهيا

ونادوا بنا انّ الجهاد مقدس ... فكان الندا كالطبل في الريح خاويا

وقد سقطت ارض العراق وأصبحت ... على فصلها منهم تجيد الاغانيا

كذلك أرض الروم زُلزل ملكها ... وحلّ بها (المسكوب) سهلا ووديا

وحاز وسام الامتياز جمالهم ... لرجعته في التيه خسران خاسيا

ولو انه في مصر حلت ركابه ... لما ظل هذا القطر عمران راقيا

وبعد انكسار الترك في كل وقعة ... تلقّب سلطان البرية غازيا

الى كم نقاسي الخسف والعسف منهم ... ونُغضي على الضيم المُذل تحاشيا

فكم حرمٍ منا ابيحت ستوره ... وكم رجل بات الليالي طاويا

وما تفعل الأنثى وقد غاب بعلها ... وأولادها باتوا جياعا بواكيا

وقد باعت الاشياء حتى ازارها ... ولم تبق في الدار التعيسة باقيا

هناك هناك الهول ياويل من درى ... ويا ويل من يرضى الخنا والمساويا

هناك تراها فكرت بعفافها ... ودانت لحكم الدهر ترضى المخازيا

وبعد اللتيا والتي وافتقارها ... وجوع صغار تستهين المهاويا

فيا شقوة الانثى تبيع عفافها ... رخيصاً وعرض العرب يعهد غاليا

لاعجب من قوم يرون الذي جرى ... ويبقون من أبناء توران ثاويا

وأعجب من هذا دخول شبابنا ... بحرب ستفنينا لنحيي الأعاديا

فما أبله الشبان من حيث جاهدوا ... أكانت عمى أفعالنا أم تعاميا

فمن شـاء أن يحيا حياة شـريفة ... يعاضدني فعـلا ويمشي ازائيـا
وهـا انني قـررت دون تردد ... على النفس أن أغشى المنية راضيا
فاما على هـام النجوم مقامنـا ... واما الى قبـر فنحيي المباديـا

لا عليَّ ولا ليـا

أكمل أحد الطلاب الفحص السنوي في مدرسة تجهيز عمان وتبلغ خبر ترفيعه الى صف أعلى وبعد ان داوم شهرا في صفه الجديد واشترى الكتب اللازمة عادوا وأبلغوه انه راسب في الصف السابق فراجع مديرية المعارف العامة فلم يلق أذنا صاغية وجاءني يوسطني لدى وزير المعارف وكان الوزير هو الشيخ أحمد السقاف قاضي القضاة السابق في عمان وهو صديق لي فقلت على لسان الطالب :

اذا كنت لا أشكو اليك ظلامتي ... لمن ياترى أشكو همومي ومابيا
وزير المعـالي أنت والله منصف ... وأنت رئيس الكل مُحيي الأمانيا
بحقـك يا سقـاف الا أعَنتَني ... على الدهر بالانصاف واسمع ندائيا
ففي فحصي الماضي تأخرت مرغما ... وفي مبدأ التدريس فقت الأواليا
وتممت اكمـالي وفزت وليتني ... رسبت فلم أشغل بفوزي باليـا
فداومت في صفي الجديد مباشرا ... دروسي شهرا لا عليَّ ولا ليـا
واني اشتريت الكتب بالنقد كلها ... فراجع قيود الصف تعرف دواميا
ومن بعد شهر بلغوني بقولهـم ... جرى غلط فارجع لصفك باقيـا
فسلهـم لمـاذا رفَّعـوني أولا ... ولِم ثم أبقـوني بصفيَ ثانيـا

وهب انني حقا رسبت فهل ترى ... لغلطة غيري أن أذوق شقائيا
وما القصد من ارساب فرد معذب ... يجد ويسعى كي ينال الأمانيا

فأمر الوزير بأن يقبلوا الطالب في صفه الجديد وهكذا كان .

رحلة ...

سافرت الى أوربا على ظهر باخرة ايطالية تدعى (اندريا) وهي باخرة كبيرة فيها كل ما تشتهيه الانفس وكان بين ركابها بعض شبان العرب المسافرين الى الآستانة للتحصيل العالي وكان أكثرهم يتصنع في حركاته مقلدا الافرنج في حركاتهم تقليد القرد للانسان فنظمت هذا الرجز وأرسلته الى صديقي خليل مردم بك واحمد شاكر الكرمي صاحب جريدة الميزان :

الى الخليل الشاعر الفنان ... مع قبلة لصاحب الميزان
أهدي تحياتي مع السلام ... وقبلتي لحافظ الزمام
وبعد : ان جاز سؤال الصحب ... عني فاني حامد لربي
وأنتم كيف الجناب العالي ... عساكم بالخير والاقبال
ليتكم صحبي معي في رحلتي ... كنت بكم أسلو هموم غربتي
يا اخوتي ما أجمل الربيعا ... وسير (أندريا) بنا السريعا
حيث ترى مناظر الطبيعه ... في قمم عالية منيعه

ما أبدع الاشجار في الجبال ... مكسوّة بحلل الجمال
قمصها خضراء كالزمرّد ... كأنها طرة ظبي أمرد
شامخة والبحر من جلالها ... أحلامه تبدو على أذيالها
وكلما هبّت عليه الريح ... كأنما فيه تدب الروح
في مدّه يتقدّم التحيه ... للساحل كفينة تركيه
وجزره عند رجوع الموج ... شبهته مثل جواري الكرج
هناك تبدو بهجة الامواج ... كسلّم مفضض الادراج
فان عَلت كلّلها الشعاع ... تاجا به تحير الصناع
أو هبطت ترى شعاع الشمس ... يجعلها أخت حباب الكأس

* * *

غروب الشمس

ولن يُرى شيء" بطول العمر ... أجمل من شمس هوت في البحر
يخالها الانسان فيه تنزل ... والبحر لايعنى بها أو يحفل
كأنها في ساعة الأصيل ... عذراء شامت طلعة الخليل
ويبتدي عناقها للماء ... بحمرة كوجنة الحسناء
وهي توارى بانقباض وألم ... يعجز عنه واصفاً أي قلم
مناظر ليس لها مثال ... شعر جمال روعة جلال
أول شكل تشبه (البالونا) (١) ... أصبحت في منظره مفتونا

(١) البالون المنطاد .

ثم غدت كفبة من نار ... من حسنها تبلبلت أفكاري
ولم تزل تغيّر الأشكالا ... حتى حكت بشكلها الهلالا
وجعلت تصغر حتى الذرة ... ثم اختفت غائبة بالمرة

* * *

البواخر

وفي الربيع تحمد الأسفار ... وتكثر السياح والخطار
وتزدهي الجبال والأشجار ... وتنجلي الشموس والأقمار
وقد غدت بواخر الأجانب ... نظامها يسر كل راكب
كأنها مدائن سياره ... جميعها بالكهربا مناره
غرفها جميلة نظيفه ... قاعاتها كبيرة لطيفه
وفرشها منظم جميل ... وهو بديع ماله مثيل
والسير فيها ليس بالمُمِلّ ... تجمع مايلزم للتسلي
(فسينما) وآلة للبرق ... من غير سلك وهي في ترقّ
وكلما يلزم للانسان ... تحضره اشارة البنان
تجمع كل حابل ونابل ... يظنها الانسان برج بابل
من كثرة اللهجات واللغات ... مع اختلاف اللون والعادات
ويلزم السائح غير لغته ... معرفة لسان غير أمته
واليوم أضحت لغة الافرنس ... همزة وصل بين جل الأنس

منشورة في الكرة الأرضيه ولغة المحافل الرسميه

* * *

وعصبة الاقوام في لوزان تجري بها مقادر الانسان
تعليمها أضر من ضروري للعاجز المحكوم والمأسور
لأمة تسعى الى النهوض تسبح في بحر من الغموض
ومن يكن مثل بني « سوريه » ينشد في حياته الحريه
وعيشة طيبة مرضيه حتى يساوي الأمم الغربيه
عليه أن يدرسها كي ما يقف مع ابنها وقفة حر لا وجف
من بعد أن يحسن درس لغته احسان من يرجو حياة أمته
درسا صحيحا لا كبعض الخلف شبان هذا العصر أهل الصلف
من درسوا بالغرب أو بالشرق وفاخروا الاقران بالترقي
وأخذوا شهادة طويله أطول من(بربيشة الاركيله)
وخدّروا أعصابنا بالقول ولم نر فضلا لهم بالفعل
من فتنوا (بالبدلة) الجميله والهيئة المنفوخة الثقيله
كأنما الواحد منهم مشجب قد(فلقوا)الدنيا بـ(تحياالعرب..)
في عمرهم لم يصدروا كتابا ولا رأينا منهمو (ضرّابا)
ما ألّفوا مذ شرفوا ما ترجموا ما نفعوا أبناءنا ما علموا
بل برزوا بالرقص و(البوكير) و(العلك) و (المودة) و (التعتير)

واحسنوا العشرة والكلاما ... يمشون بالاسواق بالبيجاما
واستصغروا دون حيا بلدتهم ... ولم تعد حياتنا رغبتهم
قد خسَّروا أهلهم الالوفا ... وجُلُّهم عاد لنا منتوفا
لم يدرسوا الاقدام والثباتا ... ولم يروا (فباركا) بتاتا
لايكتبون جملة صحيحه ... وينكرون اللغة الفصيحه
فلا أجادوا لغة الأفرنج ... وما أفادوا صنعة (الكندرجي)
ماحَصَّلوا علما ولا اقتصادا ... بل كان تحصيلهمو فسادا
ليس لهم جمع يفيد الوطنا ... والفرد منهم لايزيل الشجنا
يعزون دوماً عدم النجاح ... لنا بجد القول لا المزاح
فلا همو يأتوننا بفائده ... بل حسبونا كالوحوش الشارده
أحدهم ان لم يكن مأمورا ... دوما تراه حاصرا مقهورا
أو علقت يداه رجل الكرسي ... تلصق حتى ينطوي في الرمس
وقد غدت ماباننا الأوطان ... سفينة ليس لها ربان
بين قديم وحديث أصبحت ... كريشة فيها الرياح لعبت
وضاعت الآمال بين ذا وذا ... ونحن في ليت لعلَّ حبَّذا
أما الألى تخصصوا وفازوا ... على سواهم وعلوا وجازوا
فهؤلاء زينوا الأوطانا ... وملؤوا قلوبنا ايمانا
بغير علم نافع يا صحبي ... تبقي بلادي لقمة للغرب
فادعوا الى العلم الصحيح الباني ... للمجد مجد العرب والأوطان

اذ ليس للبلاد من خلاص من أسرها بغير الاختصاص
وفي الختام أجمل التحيه للعرب ممن يخدم القضيه
والله أرجو أن يعز الوطنا دوما لنحيا بسلام وهنا

بعد موتي

بعد موتي أمتي تعرفني فأنا في أمتي كالعافيه

المحتوى

	الصفحة
المقدمة	٣
طين وماء	٥
الملحمة الصادقة : وحي الشعر	٧
الوعد الكاذب	٨
كبش الفداء	١٠
كراسي الوزراء	١١
سفسطات وهراء ، في فيه ماء	١٢
أبعدوهم للهفاء ، المستشارون	١٣
عبّاد الكراسي	١٤
كلهم خصم ، ياللكرام النبلاء	١٥
الاستقلال يؤخذ ولايعطى	١٦
احتلوا السماء	١٧
كونوا صرحاء	١٨
أحرى بالفناء	١٩
مناخل الماء	٢٠
عزاء للمروءة	٢١
ما نحن عليه الآن	٢٢
حكام وشعب	٢٤
كل حصاة في ممالكنا قلب ، السيف أصدق أنباء من الكتب	٢٦
قرض الشعر	٢٧
نيويورك ام حلب	٢٨
اذا غاب الأسد تولى الثعلب	٣٠
عير الحي	٣١
أحط من الكلاب	٣٣

الصفحة

هاشا باشا ٣٥
الدهر دولاب ٣٧
لغة العيون ٣٨
على نهج خطتي ٤٠
وصف حياتي في الطفولة ٤١
نحن في الأموات ٤٦
النيابة في عهد الدكتاتورية ٤٧
أخشى على سلاحي ، ميثاقي الاقتصادي ٤٨
لئيم ٤٩
كم دعوت الى الكفاح ٥٠
تحكم القرود في الأسود ٥١
فؤاد الفؤاد ٥٢
الله موجود ، مستجير يجير ٥٣
يلعب بالنهى ٥٤
راعي البريد ٥٥
انهض بالعروبة ٥٦
ذو الوجهين ٥٧
انظروا للحق لا للزبد ٥٨
سلم الرشيد ٥٩
ويل للبلاد ، الرسم خير هدية ٦٠
أسرع يا رشدي بالوعد ٦١
غور الكبد ٦٢
دير معلولا ٦٥
عظم الله أجركم ٦٦
لاتكن عون الزمان ٦٧

الصفحة

لا أبغي الطلاق ٦٩

الدهر لايدري ، لاخلود لحي ٧٠

كوخ الندامى ٧١

منكر ونكير ٧٢

جاء النذير ٧٣

ساعده تكسب أجره ٧٤

الدهور تدور ٧٥

رسالة من طور سيناء ٧٦

سئمت عشرة البقر ٧٩

الحجاب هو الطهر ٨٠

بيت الزجاج ٨١

تحت المطر ٨٢

مساجلة بيني وبين البزم ٨٣

النفع والضر ٨٤

غبار الوقائع ، حرية الفكر ٨٥

الى زوجتي ٨٦

أحط من الحمر ٨٧

شمس وليل ٨٨

وذكر عسى أن تنفع الذكرى ٨٩

نمت على حرير ٩١

الى الأمير مصطفى الشهابي ، مختار الجرباء ٩٢

مختار كيوان ٩٣

الى أبي حيان ٩٤

السلام على الفنون ٩٥

الصفحة

يلزمه الطنز ٩٧
نهر النيل ٩٩
تضحك في الكؤوس ١٠٠
حاسد على نعمة آو شامت ١٠١
أضرموا الثورة ١٠٢
بهاء الشمس ١٠٤
حلم هل يتحقق ١٠٥
على الفاضي ١٠٩
الاحتياج ١١٠
مجلس القاضي ، خدّاع ومخدوع ١١٢
الساعي بالشر لئيم ، الممات أنفع للذكرى ١١٣
الى فتاة الهاتف ١١٤
حديث الى الاطفال ١١٦
يوم الفراق ١١٧
لؤم الطبع ارث ١١٨
سدّ حلقي ١١٩
الدين نصيحة ١٢٠
طق الحنك ١٢٢
وطني أحببت مجدك ١٢٤
من وحي الانقلاب ١٢٦
يحرث بالرمال ١٢٧
الى رجالات العرب ١٣١
قلبي مرتع الغزلان ١٣٤
في عمّان ١٣٥
بشير الأنس ١٣٩
لغز ، ويل للعروبة من بنيها ١٤١
من غيري أهل للهوى ١٤٣

الصفحة

تخشى من الحبل ١٤٤
دفع البدل ١٤٥
قلبي مدبول ١٤٨
قلب الاجانب مقفل ١٤٩
رصف الكلام ١٥٠
نفخ الأبواق ١٥١
هجر الدلال ١٥٢
موت الحسّاد ١٥٣
الأمانة ، صحبة الكتب ١٥٤
ويل للمحامينا ١٥٥
دستور الزعامة ١٥٦
ترك العوائد ذم ١٥٧
الفكر والالهام ١٥٨
الى أم كلثوم ١٥٩
ابكوا على الوطن ١٦٠
العلم العربي ١٦٢
احذر كل انسان ، المنّ ١٦٣
كلنا وطني ١٦٤
سلامة أمتي ، فرح الواشين ، الصديق الوفي ١٦٦
ياعود ١٦٧
والضحى والليل ١٦٨
يحرك بالبنان ١٦٩
تشطير ، الروح الطليقة ١٧٠
في المارستان ١٧١
مثل اسباني ١٧٣
لرامي ورسوله ١٧٤
نتتف بلحانا ، ميثاق البارودي ١٧٥
الاميران ، حبل السلطان ١٧٦
شيوخ العرب لايعرفون الخوف ١٧٧
قلت هي ١٧٩
نحيي المبادىء ١٨٠
لاعليّ ولا ليا ١٨٢
رحلة ١٨٣
بعد موتي ١٨٨

T

6660

PB-31557-SB
5-19T
CC

تصويب

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
٣٦	١٥	من	في
٥٥	١٠	بيرت	بيروت
٦٢	١٤	أخذها استئجاراً	أخذها استثماراً
٨٨	٥	مانلت من منى	عطف أميرنا
٩٣	٢	لخفقته	لخفته
١٠٦	١٢	العُرب الأكرمين	العُرب قومي الأكرمين
١١١	١٤	جحتاً	جمتاً
١٤١	١٥	سؤال	سؤالي

S

Bach

Elmer Holmes
Bobst Library

New York
University

NYU - BOBST
31142 01241 3012
PJ7816.A693 T3 1960 Tarikh yat